ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الخامسة عشرة : العدد السابع والخمسون - ربيع الأول ١٤٢٨ هـ - أبريل (نيسان) ٢٠٠٧ م

كتاب «معجزات الأنبياء» لابراهيم نظير الأدرنوري الرومي، تاريخ النسخ سنة ١١٣٤ هجري، مكتوب باللغة التركية.

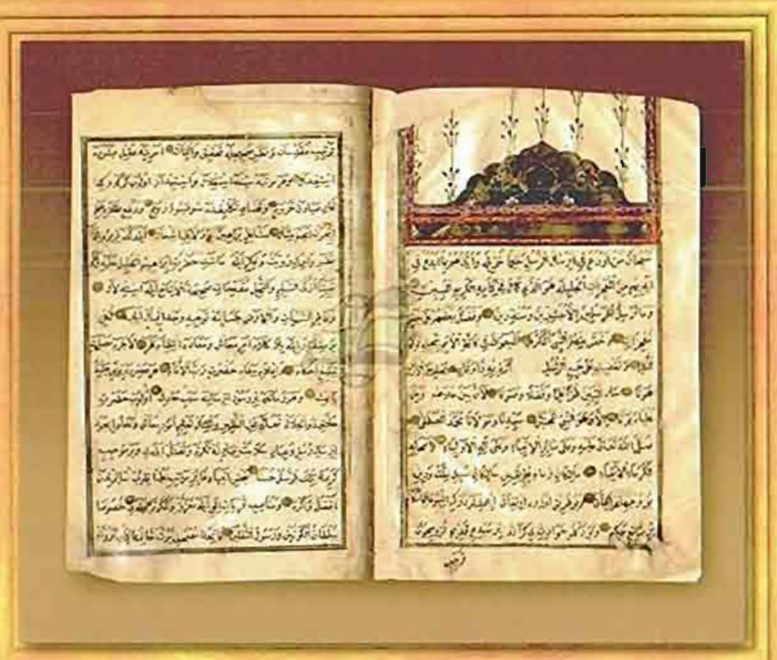

Book of "Moojizat Al-Anbya" to Ibrahim Nadheer Al-Adarnoori AL-Roumi, Copied in 1134 A.H in Turkish Language.

الرحلة في طلب الحديث

د. فاضل إسماعيل خليل
جامعة البصرة - العراق

المقدمة:

تتميز الحضارات الإنسانية بمقدار ما يبذل لبنائها من العطاء والإبداع... ومن أعظم ما تسمو به حضارتنا العربية - الإسلامية هو ذلك البناء الخلاّق في مختلف المجالات، وعلى كافة المستويات السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية وغيرها..

وقد بذل العلماء الأوائل جهودًا كبيرة في دعم المسيرة العلمية والإنسانية، وتوطيد دعائم ديننا الحنيف، عقيدةً وفقهًا وحديثًا وشعرًا وأدبًا...

ومن نظر إلى جهود علماء الحديث خاصة في رحلاتهم وأسفارهم للبحث عن الحديث، وحفظه وتدوينه، والمحافظة عليه من الدسائس والأكاذيب لوجد العجب العجاب.

ولايقل أنه يقف أمام مفخرة إنسانية لا نظير لها في أمة من الأمم.

ولقد سعدت بالبحث عن (الرحلة في طلب الحديث)، فتعرفت مساعي الصحابة، رضوان الله عليهم، في جمع الحديث من أفواه الحفاظ الصحابة، الذين سمعوا من رسول الله؟ مباشرة، وتتبعه في آفاق المعمورة ووقفت عند جهود علماء الحديث وحفاظه من التابعين وتابعيهم في ذلك كلّه مع التبويب والتدوين والتصنيف والتمييز بين الروايات الثابتة وغيرها...

وتعرضت من خلال البحث إلى بواعث الرحلة وفوائدها وآدابها، ثم أخذت من كل عصرٍ نموذجًا يتجسد من خلاله حجم الجهود المبذولة بهذا الصدد. وتتميز هذه الدراسة بوصفها (ذات نمطٍ تاريخي)، فهي إطلالة مشرقة على ذلك العصر الزاهر بمعانيه الحضارية والإبداعية. وقد جاءت دراستي للبحث في طلب الحديث تحت الفقرات الآتية:

- تعريف الرحلة في اللغة والاصطلاح.
- تاريخ الرحلات.
- موقف العلماء من الرحلة.

- بواعث الرحلة.
- فوائد الرحلة.
- آداب الرحلة
- تكوين الرحلات.
- معاناة الرحلة.
- نماذج من رحلات المحدثين.

وهذا هو جهد المقلّ. والله ولي التوفيق.

تعريف الرحلة في اللغة والإصطلاح

الرحلة لغة:

ربط العرب في لغتهم بين الدواب التي يرحلون عليها وبين مفهوم الرحلة بصورة عامة. فأخذوا كلمة "الرحلة" من هذا المعنى ... قال ابن منظور في لسان العرب[1].

"ناقة رحيلة أي شديدة قوية على السير، وجمل رحيل وبعير ذو رحلة. ورحلة إذا كان قويًا على أن يرحل. وارتحل البعير رحلة. سار فمضى. ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالاً. ورحل عن المكان يرحل. وهو راحلٌ. والرحلة اسم للإرتحال والسير: يقال: دنت رحلتنا. ورحل فلان وارتحل وترحّل بمعنى انتقل وراحلت فلانا إذا عاونته على رحلته وارحلته إذا أعطيته راحلة.

فالرحلة إذًا جاء مفهومها من ارتحال البعير: لأنه واسطة النقل. والرحل أيضًا مركب البعير، وما على ظهرها من الأوعية. وفي الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾[2]. ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾[3].

الرحلة اصطلاحا:

عرفت الرحلة بأنها: الانتقال من بلد إلى آخر من أجل الحصول على الحديث وعلو الإسناد والوقوف على أحوال الرجال.

تاريخ الرحلات:

جبُل الإنسان على الأسفار بحثًا عن الرزق أو طلبًا للعلم بشتى فروعه. أو للترويح عن النفس. وكان ذلك دأب الإنسان منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى على وجه البسيطة. وقد بين ذلك بآيات كريمة ترددت بها كلمات اسعوا... امشوا وغيرهما.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[4].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[5].

وكان الإنسان مجبولاً على السفر بحثًا عن الطعام والماء بالأخص في الظروف القاسية. وهذا هو شأن البدو إذا كانوا يرتحلون من مكان إلى آخر طلبًا للعشب والماء. ومن أجل الحصول على الطعام كما ارتحل أخوة يوسف من فلسطين إلى مصر عندما حدثت المجاعة التي أخبر عنها القرآن الكريم..... ﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[6].

وقد نشأت من ذلك التجارة وانتظمت بين البلدان والأمم. وكانت التجارة الركيزة الثانية لاقتصاد قريش ومعيشتهم بعد موسم الحج. فكانوا يرتحلون رحلتين في السنة: رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى بلاد الشام تشتري قريش فيها وتبيع وتربح ربحًا كبيرًا. صيرها في وضع

مادي جيد. وصارت مكة في ذلك العهد مركزًا تجاريًا وماليًا مرموقًا في الحجاز وسوقًا لتبادل السلع[١٠]. وقد منّ الله سبحانه وتعالى على قريش بتلك المنزلة التي يسرها لهم. فقال سبحانه وتعالى في سورة قريش: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[١١].

أما الرحلات في طلب العلم فيخبرنا القرآن الكريم عن رحلة سيدنا موسى (عليه السلام) صوب البحر باحثًا عن العبد الصالح. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.... قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[١٢].

وجاء في صحيح البخاري أنّ ابن عباس تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى. قال ابن عباس هو خضر. فمر بهما أبيّ بن كعب فدعاه ابن عباس. فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه. هل سمعت النبي(ﷺ) يذكر شأنه؟ قال نعم سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: بينما موسى في ملأ بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحد أعلم منك؟ قال موسى لا. فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا خضر. فسأل السبيل إليه. فجعل الله له الحوت آية. وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه... الحديث[١٣]. وقد اهتم العرب والمسلمون بالرحلة لأهميتها في توسيع مداركهم والإطلاع على البلاد التي أصبحت بفضل الإسلام بلادهم. ولم تكن كذلك قبل أن يشع نور الإسلام عليها فدونوا مشاهداتهم وانطباعاتهم في كتب ومؤلفات فخلفوا لنا ثروة علمية حفظتها بطون كتبهم.

أما الرحلة في طلب الحديث فقد اتخذت شكلاً آخر: إذ امتازت بتعدد رحلة المحدث إلى المدن والأمصار. بل تكررت رحلاته إلى المدينة التي زارها من قبل فكانت رحلة المحدث تبعًا لضرورة التحصيل العلمي، التي ظهرت فيما بعد على شكل مذكرات اتخذت أشكالاً متعددة. مثل: كتب المعاجم والمشيخات والأنساب والوفيات. وغيرها مما سنفصله في قادم البحث. وقد أولى الدين الإسلامي الحنيف نشر العلم عناية خاصة فحضّ على طلبه. ونشره إذ رويت الكثير من الأحاديث الشريفة عن النبي(ﷺ) تدعو إلى ذلك وتهون الأمر على الساعي. وتحمله المشاق بالأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى. وأنه يثيب طالب العلم على مسعاه. فعن أبي أمامة الباهلي أنّ النبي الكريم(ﷺ) قال: عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض. وقبل أن يرفع. ثم قال: العالم والمتعلم شريكان في الأجر. ولا خير في سائر الناس بعد. وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام[١٤]. وفي رواية إنّ العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد. وفي حديث أبي هريرة(رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه[١٥]. وروى أبو الدرداء(رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة. وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم. وإنّ العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء. وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإنّ العلماء ورثة الأنبياء. وإنّ الأنبياء لم

يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[١٣].

لقد كانت الأحاديث النبوية الشريفة يتداولها الصحابة فيما بينهم ويتذاكرونها، وكان كل صحابي مدرسة كاملة بما يحمله من علمٍ ومعرفة، وما يتحلى به من روح الخير والمحبة والإخلاص، وقد لازم كل صحابي تلاميذ من الجيل الثاني عرفوا بالتابعين. ولما انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، وكانت معظمها تحت قيادة الصحابة استوطنت أعداد كبيرة منهم في الأمصار المفتوحة والمدن القديمة والمستحدثة، ففي إحصائيات المؤرخ محمد بن سعد البصري (ت٢٣٠هـ) من خلال تراجم الصحابة الذين استوطنوا المدن والأقاليم الإسلامية المعروفة، فهم موزعون كالآتي:-

البصرة	(١٥٠) [١٤].
الكوفة	(١٤٦) [١٥].
الشام	(١١٤) [١٦].
مصر	(٣٢) [١٧].
خراسان	(٦) [١٨].
اليمن	(٢٧) [١٩].
الجزيرة	(٥) [٢٠].
الطائف	(٣٤) [٢١].
البحرين	(٢٥) [٢٢].

واكتفي بهذه النماذج وأحيل القراء إلى كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، للوقوف على وجودهم في بقية الأقاليم والمدن.

ولما كان الحديث الشريف يشكل ركنًا مهمًا من أركان الشريعة الإسلامية، فهو الذي يفسر الكثير من النصوص القرآنية ويكملها؛ لذلك احتاج الداعي - ومنهم الصحابة - إلى تتبع الحديث لحل الإشكالات والمسائل المستحدثة، وللرد على استفسارات المسلمين، ممن أدرك عصر النبوة، ومن لم يدركها، لذلك دعت الحاجة إلى الرحلة في طلب الحديث إلى مواطن الصحابة الجديدة، وهكذا رحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر في مصر فلما قدم مصر، أخبروا عقبة فخرج إليه، فقال له أبو أيوب: حديثًا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم، لم يبق أحد سمعه غيرك: قال سمعت من رسول الله (ﷺ) يقول: "من ستر مسلمًا على خزية ستره الله إلى يوم القيامة". فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة وما حلَّ رحله[٢٣]. وابتاع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (ت٧٨هـ) بعيرًا وشدَّ عليه رحلة وسار شهرًا حتى قدم الشام يسأل عبد الله بن أنيس عن حديث القصاص، كما رحل إلى مصر في حديث بلغه عن مسلمة بن مخلد فسأله عنه فأخبره به ثم رجع[٢٤]. وعن بسر بن عبد الله الحضرمي قال: "إن كنت لأركب إلى مصر والأمصار في الحديث الواحد لأسمعه[٢٥]. وقال سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ) " أن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد"[٢٦]، وعن أبي قلابة الجرمي البصري قال: "قمت في المدينة ثلاثًا مالي بها حاجة إلاّ رَجُل عنده حديث واحد لأسمعه منه"[٢٧]. ومن يراجع تراجم الصحابة المكثرين من الحديث والتابعين المشهورين، كعروة بن الزبير والزهري، وسعيد بن المسيب، يلمس ما بذله المحدِّثون في تلك المدة من جهد في سبيل رواية الحديث الشريف، كما سنرى ذلك لاحقًا في قادم البحث إن شاء الله.

موقف العلماء من الرحلة:

على الرغم من بدء الرحلة في طلب الحديث في عصور متقدمة منذ عصر الصحابة والتابعين إلا أنَّ بعض المحدثين يرى عدم وجوب الرحلة في طلب الحديث. ويرون أنَّ النهاية المحصلة للرحلة بضعة أحاديث قد يكون أكثرها من الروايات الضعيفة. وفائدتها قليلة لا تتطلب عناء تلك الرحلة الشاقّة وقطع آلاف الأميال وبأقسى الظروف. وربما كان فقر بعض المعارضين سببًا آخر في عدم ارتحالهم. يروي الرامهرمزي (٢٦٠-٣٦٠هـ) أنه قيل لسفيان الثوري لِم لمْ ترحل إلى الزهري؟ قال: لم تكن عندي دراهم. ولكن قد كفانا معمرٌ الزهري. وكفانا ابن جريج عطاء[٢٨]. ونقل الرامهزي رأي من لا يرى الارتحال. فقال على لسان بعضهم "قال بعض متأخري الفقهاء يذم أهل الرحلة في فصل من كلام له: نبغوا فعابوا الناظرين المميزين وبدَّعوهم. وإلى الرأي والكلام نسبوهم. وجعلوا العلم الواجب طلبه الدوران والجولان في البلدان لالتماس خبر لا يفيد طائلاً وأثر لا يورث نفعًا. فأسهروا ليلهم. واظمأوا نهارهم وأتعبوا مطيّهم، واغتربوا عن بلادهم وضيعوا ما وجب عليهم من حق خلفائهم. وعقوا الآباء والأمهات فتعجلوا المآثم بتضييع الواجب والحقوق. وحرموا أنفسهم التلذذ بمعاشرة الأهل والولد. وطابت أنفسهم لها فحرموا لذة الدنيا. واستوجبوا العقاب في الآخرة فهم حيارى كالأنعام إن سئلوا عن مسألة قالوا: هل حدثت هذه المسألة حتى تقول فيها؟ فإن قيل لهم. هي نازلة . قالوا : ما نحفظ فيها شيئًا فإن سُئلوا عن السنن يقول خطيبهم ما تحفظون فيمن بنى لله مسجدًا. ومن كذب علي معتمدًا. وفي أسلم سالمها الله. وفي قوله أما بعد)[٢٩]. وقد رد عليهم باسم المعارض واصفًا من لا يرى الرحلة واجبة بقوله: تهيّبوا كدّ الطلب ومعالجة السفر وبعلوا[٣٠] بحفظ الآثار ومعرفة الرجال واختلفت عليهم طرائق الأسانيد. ووجوه الجرح والتعديل. فآثروا الدّعة واستلذوا الراحة.. واقتصروا على ابتياع صحف درسوها. واستعدوا الشغب عليها. فإن حفظ أحدهم في السنن شيئًا فمن صحيفة مبتاعة. كفاه غيره مؤونة جمعة وشرحه وتبويبه من غير رواية لها ولا دراية بوزن من نقلها...)[٣١]. من هنا نرى أنَّ هناك من لا يرى ضرورة الرحلة ووصفها بأنها تعب ليس وراءها أرب. ولا شك أن هذا الرأي لا يقوى على مناهضة رأي القائلين بضرورة الرحلة لتحصيل الحديث من سامعه. والوقوف على حاله. فكان أنصار الرحلة هم الجمهور. وكان أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج يرى أن الرحلة يجب أن يكون هدفها الأول هو سماع الحديث على أصول. فإن خرجت عن هذا الهدف النبيل. كأن كانت من أجل التعالي في الإسناد فإن الرحلة فقدت هدفها. ودخل الرياء في سعي الراحل وجده. وفي هذا يقول: لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يطلب التعالي في الإسناد[٣٢].

بواعث الرحلة:

تبيّن مما تقدّم أن الارتحال هو مذهب عموم المحدثين حتى أصبح ذلك قاعدة عامة لكاتب الحديث. وهي حالة حضارية متميزة كانت من سمات مدرسة الحديث النبوي الشريف. وقد حققت الرحلة في طلب الحديث نتائج كان لها أثر كبير في حفظ الشريعة الإسلامية. وإنَّ الرحالة المحدثين كانوا على حق. فإنها ساهمت في حيلتهم الفكرية وسعة مداركهم بعد أن أصبحت الرحلة مذهبًا: إذ كانت عوامل كثيرة تدفع المحدث إلى

الرحيل طلبًا للحديث، وشوقًا لتلقي المعرفة، وأصبحت الرحلة مقياسًا لمكانة المحدث حتى أطلق النقاد والمؤرخون عليهم عبارات المدح فقالوا: "ارتحل وهو ابن خمس عشرة، أو ابن عشرين" أو رحل وتعب، له رحلة واسعة، أكثر الترحال، له العناية التامة بطلب الحديث والرحلة، بقي في الرحلة بضع عشرة سنة، وغيرها من عبارات المدح والثناء، بل ساقوا في شأن الرحلة وصاحبها الأمثال، فقالوا: تضرب إليه أباط المطي، أو أكباد المطي، رحل الناس إليه، كانت الرحلة إليه في زمانه، كما أطلقوا على البعض من كبار المحدثين لقب "الرحال والرحالة والجوال والجوالة أو طواف الأقاليم"[٢٦]. وإذا تتبعت تراجم المحدثين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن جاء بعدهم تجد أن المؤرخين لحياتهم يقولون في الرجل منهم مثلاً: هو فلان بن فلان المكي ثم المدني ثم الكوفي ثم البصري ثم الشامي ثم المصري، إيذانًا بأن هذا الراوي كان رحالة في طلب الحديث والعلم[٢٧]. وكان المحدثون يرحل البعض منهم ويقطع الفيافي والقفار، ويجوب البلاد شرقًا وغربًا في طلب حديث واحد ليسمعه من راويه ومنهم من يكون الباعث له على رحلته طلب ذلك الحديث دون سواه، ومنهم من يقرن بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوي بعينه، إمّا لثقته فيه وإمّا لعلو إسناده، فانبعثت العزائم إلى تحصيله، فكان اعتمادهم أولاً على الحفظ والضبط في الصدور غير مكتفين بما يكتبونه، محافظة على هذا العلم، كحفظهم لكتاب الله سبحانه وتعالى[٢٨]. "ويبدو أثر الرحلة للناظر في أسانيد الأحاديث واضحًا جليًا إذا ما تناولنا أي إسناد منها، ودرسنا تاريخ رواته نجد في أغلب الأحيان أنهم ينتمون إلى أكثر من موطن، بل ربما وجدنا كل واحد منهم من بلدة جمعت الرحلة في طلب الحديث شتاتهم، وقربت ما بُعد بينهم، حتى تسلسلوا في قرن واحد في سند الحديث الواحد"[٢٩].

وأود أن أسجّل بواعث الرحلة بالنقاط التالية:-

(١) طلب الأسانيد العالية:

قال الخطيب: المقصود من الرحلة أمران، أحدهما تحصيل علو الإسناد وقدم السماع[٣٠]. وقال النووي: وطلب العلو سنة، ولهذا استحبت الرحلة[٣١]. العلو هو قلة عدد الوسائط في سند الحديث مع اتصال السند، ويحصل العلو بأن يسمع المحدث حديثًا من راوٍ عن شيخ حي، فيذهب المحدث إلى ذلك الشيخ ويسمع منه. قيل لأحمد بن حنبل: أيرحل الرجل في طلب العلو؟ فقال: "بلى والله شديدًا، لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه"[٣٢].... وللعلو فائدة عظيمة هي إنه يبعد الإسناد من الخلل: لأنَّ كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع من جهته خلل في النقل فإذا قلت الوسائط تقل جهات الاحتمال للخلل. فيكون علو السند قوة للحديث[٣٣]. ويرى البعض أنَّ النزول في الإسناد أفضل لأنه يجب على الراوي أن يجتهد في متن الحديث وتأويله، وفي الناقل وتعديله، وكلما زاد الاجتهاد زاد صاحبه ثوابًا، وهذا مذهب ضعيف. وقال آخرون: التعالي في الإسناد مستحب لبعض الاجتهاد، وسقوط الاجتهاد كلما أمكن أسلم[٣٤]. الإسناد العالي ينقسم إلى قسمين: الإسناد العالي المطلق هو ما قرب رجال سنده من رسول الله ﷺ بسبب قلة عدد الرواة إذا قيسوا بسند آخر، وهذا النوع من العلو هو أجلّ الأسانيد، شريطة أن يكون إسنادًا صحيحًا نظيفًا، رجاله من

الثقات. أما إذا وجد فيه بعض الكذابين ممن ادعى سماعًا من الصحابة كابن هدبة، ودينار، وخراشة، ونعيم بن سالم، وأبي الدنيا الأشج، فلا يلتفت إليه. ولذلك قال الحافظ الذهبي متى رأيت المحدث يفرح بعوالي هؤلاء فاعلم أنه عامي[٣٠].

أما الإسناد العالي النسبي فهو ما قرب رجال سنده من إمام من أئمة الحديث كالأعمش، وابن جريج، ومالك، وشعبة، وغيرهم مع صحة الإسناد إليه، أو قربوا من كتاب من الكتب المعتمدة المشهورة كالكتب الستة، والموطأ، والرسالة والأم للشافعي، وغيرها، وإنما سمي (نسبيًا) لأنَّ العلو فيه إضافي لا حقيقي[٣١].

وقد جعل ابن حجر الإسناد العالي النسبي على أربعة أنواع: الموافقة والبدل والمساواة والمصافحة[٣٢].

فالموافقة هي الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريق، والبدل هو الوصول إلى شيخ شيخه من غير طريق أيضًا.

والمساواة هي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد أحد المصنفين.

والمصافحة هي الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف، وسميت مصافحة لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تلاقيا. وإن وقعت المساواة لشيخك كانت لك مصافحة كأنك صافحت المصنف وأخذت عنه[٣٣]. لذلك عُني المحدثون بالعلو عناية كبيرة، قال الإمام أحمد بن حنبل طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف[٣٤]. وقيل ليحيى بن معين في مرض موته "ما تشتهي؟ قال "بيت خالي وإسناد عالي"[٣٥].

(٢) البحث عن أحوال الرواة من حيث العدالة والحفظ والتيقظ فيتوجب على طالب الحديث أن يتعرف أحوال الرواة والشيوخ. فمن فوائد الرحلة أنها تقرب تلك الأحوال للرحالة فيستطلع أحوال الشيوخ ومدى توثيق أهل بلدهم. يقول الخطيب البغدادي كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمعته وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه[٣٦]. وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كنا إذا أتينا الرجل لنأخذ عنه نظرنا إلى صلاته فإن أحسن الصلاة أخذنا عنه، وإن أساء لم نأخذ عنه[٣٧]. وقال شعبة انظروا عمن تكتبون[٣٨]. فالوقوف على أحوال الرواة وأخلاقهم لا يمكن أن يلم بها من كان في بلده ولم يرحل إليهم. وهي شروط حمل الحديث الشريف وروايته. فقد روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن أحمد بن منصور الرمادي قال: "خرجت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين إلى عبد الرزاق يعني - ابن همام- خادمًا لهما فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل: أريد أن اختبر أبا نعيم - الفضل بن دكين - فقال له أحمد بن حنبل: لا تفعل الرجل ثقة. قال يحيى بن معين: لا بدّ لي فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثًا من حديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة حديثًا ليس من حديثه. ثم جاء إلى أبي نعيم فدقَّ عليه الباب. فخرج فجلس على دكان طين حذاء بابه، وأجلس أحمد بن حنبل عن يمينه، وأخذ يحيى بن معين فأجلسه عن يساره. ثم جلست أسفل الدكان فأخرج يحيى بن معين الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث وأبو نعيم ساكت. ثم قرأ الحادي عشر فقال له أبو نعيم: ليس من حديثي فاضرب عليه. ثم قرأ عليه العشرة الثانية وأبو نعيم ساكت. فقرأ الحديث بعدها فقال

له أبو نعيم: ليس من حديثي فأضرب عليه. ثم قرأ العشرة الثالثة وقرأ الحديث بعدها فتغير أبو نعيم وانقلبت عيناه. ثم أقبل على يحيى بن معين فقال له أما هذا - وذراع أحمد في يده - فأورع من أن يعمل مثل هذا. وأما هذا - يريديني - فأقل من أن يفعل مثل هذا. ولكن هذا من فعلك يا فاعل، ثم أخرج رجله فرفس يحيى بن معين فرمى به من الدكان، وقام فدخل داره. فقال: أحمد ليحيى ألم أمنعك من الرجل. وأقل لك إنه ثبت، فقال يحيى بن معين "والله لرفسته لي أحب من سفري"[٥١].

(٢) طلب الحديث والتثبّت من صحته:

ليس هناك من شك في أنَّ الرحلة إلى العلماء تؤدي إلى الاستزادة من الحديث وحفظ ما لم يكن موجودًا عند علماء بلده وأهل مصره. ولعلَّ هذا أهم بواعث الرحلة. وقد ضرب رجال الحديث في ذلك مثلاً عاليًا وبلغوا شأوا عزيز المثال حتى رحلوا في طلب الحديث الواحد، قال سعيد بن المسيب كنت لأسير الليالي والأيام من أجل الحديث الواحد[٥٢]. وكان مقصد أبي أيوب الأنصاري(رضي الله عنه) من رحلته من المدينة إلى مصر ليتثبت من حديثٍ سمعه من النبي (ﷺ) لم يبق أحد سمعه غيره وغير عقبة بن عامر[٥٣]. وارتحل ابن الديلمي من فلسطين إلى الطائف ليسأل عبد الله بن عمرو بن العاص(رضي الله عنه) عن حديثٍ بلغه عنه[٥٤]. فضلاً عن ذلك فإنَّ الراوي يستفيد في رحلته على سيرة الرواة في بلدانهم، ويعلم قوتهم من ضعفهم. فهذا شعبة بن الحجاج يرحل من أجل إسناد لحديث فضل الوضوء والذكر بعده، فيتبيّن له أنَّ أحد رواة الحديث مطعون فيه. فقال متأسفًا: دمر عَليَّ هذا الحديث. لو صح لي هذا الحديث كان أحب إليّ من أهلي ومن مالي ومن الدنيا كلها"[٥٥].

(٤) مذاكرة العلماء وجهابذة نقّاد الأحاديث ومعرفة عللها، فمذاكرة العلماء ومعرفة علل الأحاديث أجل أنواع علم الحديث. قال الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية"[٥٦]. ولو كان حكم المتصل والمرسل واحدًا لما ارتحل كتبة الحديث وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بَعُدَ من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق. وقال أيضًا المقصود من الرحلة أمران أحدهما تحصيل علو الإسناد وقدم السماع. والثاني لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم[٥٧].

فوائد الرحلة:

للرحلة فوائد جليلة نثبتها بما يأتي:

١- الرحلة تزيد من كمال المتعلم وتحصيله، وذلك بلقاء أهل العلم ونقاد المشايخ. فإن ذلك يفيده في تفسير الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات، ويصحح معارفه، ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وزيادة المشيخة لمن يسر الله عليه طرق العلم والدراية، يقول ابن خلدون في مقدمته[٥٨]:-

"فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال". فمن المعروف والمشهور أن للإمام الشافعي مذهبين، المذهب القديم والمذهب الجديد. والمذهب الجديد يختلف في مسائل جوهرية كثيرة عن القديم الذي صار إليه بعد رحلته إلى العراق. حيث لقي الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة. ولقي أخرين من تلامذة أبي

حنيفة ولما انتقل الشافعي إلى مصر أسس مذهبه الجديد هناك، وعليه لا بدّ من الوقوف على فقه الشافعي في رحلته إلى العراق وإلى مصر[٤٨].

٢- توحيد النصوص والتشريعات:

فمن فوائد الرحلة لطلب الحديث توحيد النصوص والتشريعات من مختلف أقطار العالم الإسلامي، وضبطها وجمعها واستنباطها من مصادرها. فقد كان لهذه الرحلات أثر في توحيد نصوص الأحاديث ونقلها من طابعها الإقليمي الأصلي إلى الطابع العام المشترك؛ ولذلك تشابهت الروايات المماثلة في الكتب الصحيحة حول الموضوع، إلا في بعض الفروق الدقيقة التي لم يفت المحدثين التنبيه عليها، وهذا سببه تلاقي الرواة حين يرتحل بعضهم لبعض، ويأخذ بعضهم من بعض، ويحدثون الناس في الذهاب والإياب. فعندما قدم مكي بن إبراهيم التميمي (ت٢١٥هـ) بغداد في طريقه إلى الحج، ورجع مرَّ بها وحدّث الناس في ذهابه وإيابه وكتبوا عنه[٤٩]، ولم يقف أثر هذه الرحلات عند حد التشابه بين النصوص أو التوحيد بينها أحيانا كما في حديث النيَّة "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"[٥٠] الحديث. بل تعداه إلى وحدة التشريع وإلى وحدة الاعتقاد. فمن هذا الحديث استنبط العلماء كثيرًا من المسائل الفقهية التي صدر فيها عن سماحة الإسلام في معالجة الضمير البشري، وتعويله على القلوب والسرائر، لا على الصور والأشكال. وحظي هذا الحديث بأهمية خاصة لدى المحدثين والفقهاء على حد سواء. قال عبد الرحمن بن مهدي: ما ينبغي لمصنف أن يصنف شيئًا من أبواب العلم إلا ويبتدئ بهذا الحديث[٥١]. وبمثل هذا صرح البخاري، فقال: من أراد أن يصنف كتابًا فليبدأ بحديث الأعمال بالنيات[٥٢]. وابتدأ ابن رجب الحنبلي كتابه جامع العلوم والحكم بشرح هذا الحديث، واستنبط منه كثيرًا من المسائل الفقهية[٥٣]. ويرى الدكتور صبحي الصالح[٥٤] أنَّ هذا الحديث لم يكن معروفًا إلا في المدينة غير أنه استفاض بعد ذلك في سائر الأمصار بصيغته المشهورة، فكان ذلك دليلاً واضحًا على دور الرحلة وأثرها في توحيد النصوص الحديثية ونقلها من طابعها الإقليمي الأصلي إلى الطابع العام المشترك.

وقال الأستاذ ضياء العمري: "ولولا الرحلة في طلب الحديث لوجد طابع فكري محلي في كل مدينة من المدن الإسلامية بسبب العزلة العلميّة. لكن الروح الواسعة التي تحلّى بها العلماء دفعتهم إلى جوب الآفاق وأخذ العلم من شتى المراكز الفكرية من العالم الإسلامي.... وانَّ ما حققته هذه الرحلات من امتزاج علم الأمصار يظهر بوضوح في مجاميع الحديث التي دونت خلال القرن الثالث الهجري. وقد عملت هذه الرحلات على تقليل أثر العصبية والمنافسة في الحديث بين الأمصار"[٥٥].

٣- الحصيلة الثقافية الواسعة:

إنَّ هذا الكم الكبير من الأحاديث والكتب المصنفة في هذا المجال ما كان ليتم بالصورة الحالية ويكتمل لولا رحلات المحدثين شرقًا وغربًا من الأندلس وحتى حدود الصين. ولو استعرضنا فهارس الكتب والمخطوطات والكتب القديمة المخصصة للفهارس، كفهرست ابن النديم أو كشف الظنون، أو الإعلان بالتوبيخ للسخاوي، وغيرها لرأينا المكانة المرموقة التي وصل لها علم

الحديث. ويقينًا إنَّ الرحلات كان لها عظيم الأثر في التحصيل العلمي هذا[٦٨].

٤- المتعة النفسية التي يحصل عليها الرحالة:

إنَّ الرحلة في طلب الحديث رغم صعوبتها وقسوة ظروفها تشعر صاحبها بالمتعة النفسية ويستطلع أحوال البلاد والمناهل والمنازل، ومشاهدة عجائب البلدان واختلاف الألسن والمأكل والمشرب، وما يحصل عليه من رياضة ذهنية وبدنية إضافة إلى الأجر الذي يحصل عليه من الله سبحانه وتعالى، وهو يدون أحاديث الرسول الكريم(ﷺ)، ويتحمل المشاق عن طيب نفس كما يظهر لنا من استعراض حياة الرحالة وأحوالهم أثناء رحلاتهم[٦٩].

٥- المتاجرة بالحديث:

إنَّ الرحلة للمتاجرة بالحديث الشريف رفضها أكثر المحدثين. فالحديث ليس سلعة تباع وتشترى، والغالب على الرحالة أنهم يطلبون الحديث للمعرفة وإنما تأتي المتاجرة نتيجة وفائدة ثانوية وليست هدفًا. وإذا روي عن بعض المحدثين أنهم أخذوا الأجرة على الحديث فمن باب سد العوز والفقر لذلك المحدث، وهم قلة قياسًا إلى الجمع الغفير من المحدثين الذين يرون أنَّ أخذ الأجرة على الحديث من قلة المروءة، ثم إن من أخذ الأجرة على الحديث إنما كان يشكو ضيق اليد كما قلنا. ومن هؤلاء أبو نعيم الفضل بن دكين (٢١٩هـ) قال الذهبي: "كان أبو نعيم يأخذ على الحديث شيئًا قليلاً لفقره"[٧٠]. وقال علي بن خشرم سمعت أبا نعيم يقوم: "يلومونني على الأخذ وفي بيتي ثلاثة عشر نفسًا، وما في بيتي رغيف"[٧١]. ويرى الذهبي أنَّ لومهم كان على الأخذ من الإمام - يعني السلطان -لا من الطلبة[٧٢].

قلت ولكن ما ذكره علي بن جعفر يدحض قول الذهبي إذ قال: كنا نختلف إلى أبي نعيم نكتب عنه الحديث فكان يأخذ منا الدراهم الصحاح، فإذا كان معنا دراهم مكسرة يأخذ عليها صرفًا[٧٣]. ويروي يعقوب بن إبراهيم بن سعد صاحب المغازي نقلاً عن أبيه أنه كان لا يحدث الحديث إلا بدينار[٧٤]. وكان علي بن عبد العزيز المكي إذا اجتمع عليه القوم ليقرأوا عليه شيئًا، وكان فيهم إنسان فقير لم يكن ليقرأ عليهم وهو حاضر حتى يخرج أو يدفع كما دفعوا[٧٥]. غير أنَّ هؤلاء المحدثين قلة فقد وردت الأخبار عكس ذلك وشددت على من يأخذ أجرًا على الحديث[٧٦].

٦- توثيق العلاقات بين بلدان العالم الإسلامي:

وأرى أنَّ للرحلات الحديثية الأثر الواضح في توثيق العلاقات مع بلدان العالم الإسلامي، مثلها مثل الرحلات الجغرافية والرحلات التجارية. فإنها تجعل الأقطار الإسلامية قطرًا واحدًا يشعر المسلم بالوحدة الحقيقية التي يسعى إليها الإسلام. فقد انصهرت بلدان العالم الإسلامي في بودقة واحدة، وهذه الوحدة في الشعور قد قوتها الرحلات الحديثية إذ كان العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة. فالطواف بين الأقاليم الإسلامية لا تعوقه السدود ولا القيود أو الحدود.

ولعل ما ذكرناه من فوائد للرحلة لخصها الشافعي في بيتين من الشعر نستأنس بهما:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد[٧٧]

اداب الرحلة:

هناك أصول ينبغي مراعاتها حتى تؤتي الرحلة ثمارها. وتحقق أهدافها ومنها:-

١- أن يسمع الطالب من شيوخ بلده أولاً ثم يرحل إلى الشيوخ في الأمصار الأخرى. فيحبذ الخطيب البغدادي أن يبدأ ببلده فلا ينبغي أن يترك من في بلده من الرواة أحدًا إلا ويكتب عنه ما تيسر من الأحاديث وإن قلت[١٢٧]. قال ابن الصلاح فإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي في بلده فليرحل إلى غيره[١٢٨].

٢- حسن اختيار أماكن الرحلة بأن تكون عامرة بالعلماء والفضلاء ممن يستفيد منهم ويستحب للطالب استشارة شيوخه عند الرَّوْم بالسفر. سئل أحمد بن حنبل: عمن ترى أن يكتب الحديث؟ فقال له: اخرج إلى أحمد بن يوسف فإنه شيخ الإسلام[١٢٩]. وقال معمر: قال لي أيوب - يعني السختياني - إن كنت راحلاً إلى أحد فارحل إلى ابن طاووس وإلا فالزم تجارتك[١٣٠].

٣- أن يهتم بكثرة المادة العلميّة المتلقاة وكثرة المسموع مما ليس عنده من الأسانيد والمنقول. ويقدم ذلك على الاستكثار من الأساتذة[١٣١].

٤- مراعاة الآداب العامة في السفر ومنها استئذان الأبوين في الرحلة. وترك الرحلة مع كراهتهما ذلك وسخطهما. ويشذ عن هذا الشرط إذا لم يكن ببلد الطالب من يعرف واجبات الأحكام وشرائع الإسلام. أما إذا كان قد عرف العلم المفترض عليه فتكره له الرحلة إلا بأذن أبويه. وإذا منع الوالدان ابنهما من تعلم العلم المفترض فيجب عليه مداولتهما والرفق بهما حتى تطيب له نفسهما ويسهل من أمره ما يشق عليهما. يحكي الحافظ ابن عساكر الدمشقي سبب تأخره عن الرحلة إلى أصبهان. فيقول: استأذنت أمي في الرحلة إليها فما أذنت [١٣٢]. وكان الحافظ الذهبي يتشوق الرحلة إلى البلدان الأخرى لما لذلك من أهمية بالغة من تحصيل علو الإسناد وقدم السماع. إلا أن والده لم يشجعه على الرحلة بل منعه في بعض الأحيان. ولم يسح له والده بالرحلة حتى بلغ العشرين من عمره. وذلك سنة ٦٩٣هـ بعد أن اشترط عليه أن تكون الرحلة قصيرة. ولا يقيم في البلد أكثر من أربعة أشهر. ويرافقه فيها بعض من يعتمد عليهم[١٣٣].

٥- كما يستحب لطالب الرحلة أن يتخير لرفقته الرفقة الصالحة. وأن يداوم على الطاعات والعبادات. وأن يكون صبورًا على متاعب السفر. ومن المؤكد أن للرحلة الأثر الطيب في النفس إذ يهذبها ويكسبها فضائل تسمو بها. حتى إنَّ الكثيرين من أكابر المحدثين والزهَّاد يرحلون لمجاهدة أنفسهم على تلك الخصال[١٣٤].

تدوين الرحلة:

لم أقف على تدوين خاص برحلات المحدثين الأوائل. ولكن رحلاتهم وما جرى لهم فيها سجلت في تراجمهم وأخبارهم الواردة في كتب سيرهم وفي ثنايا أحاديثهم. على أن أخبار رحلات رواة الحديث في القرون الأربعة الأولى لم تكن جمعت بمصنف خاص. غير أن تدوين الرحلات تم في القرن الخامس فما بعده: إذ ظهرت الكتب والمصنفات التي سجلت رحلاتهم. وقد رتبت هذه الكتب على أشكال مختلفة من حيث عرض مادتها ومن هنا جاء الفرق بين المعاجم والمشيخات. وهما

من أوائل المدونات التي تنبثنا برحلات العلماء الأعلام.

(أ) المعجم:

هو ما يكون مرتبًا على الأحرف الأبجدية مثل معجم شيوخ ابن زاذان. لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان المقرئ المتوفى سنة ٣٨١هـ، ومعجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي المتوفى سنة ٤٠٢ هـ[١٥]. وقد جمع أبو سعد السمعاني المتوفى في عام ٥٦٢هـ ثلاثة معاجم هي:-

أ- المعجم الذي خرجه لابن أبي المظفر عبد الرحيم السمعاني في ١٨ جزءًا.

ب- معجم شيوخه وترجم لهم تراجم مطولة فذكر أسماءهم وأنسابهم وألقابهم وأماكن سكناهم، ومن اشتهر من ذويهم بالعلم والسماع والرحلات، وذكر تصانيفهم ومجالس وعظهم ومجالس إملائهم ومروياتهم من الأحاديث والكتب والأسفار والأفراد، وتراجم شيخاته من النساء جعلها حقلاً خاصًا آخر الكتاب.

ت- التحبير في المعجم الكبير ويحتوي على (١١٩٣) ترجمة من تراجم شيوخه وشيخاته، وتراجمه مرتبة على حروف المعجم[١٦]. ثم معجم السفر لأبي طاهر السلفي المتوفى سنة ٥٧٦هـ، والمعجم المختص بشيوخ الحافظ الذهبي، والمعجم المترجم لزكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)[١٧].

٢- كتب المشيخات:

وهي تشمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم أو أجازوه. وإن لم يلقهم[١٨]. وتكون مرتبة حسب تاريخ وفيات الشيوخ. وهو ضرب من كتب الوفيات مثال (تاريخ وفاة الشيوخ لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن المرزبان البغوي (ت٣٨٤هـ). ومشيخة صائن الدين محمد بن الأنجب النعال[١٩]. ومنها ما هو مرتب حسب البلدان التي دخلها صاحب المشيخة منها: مشيخة أبي يوسف يعقوب ابن سفيان البسوي ت٢٧٧هـ. كما رتب البعض منها حسب تاريخ القراءة أو السماع أو الأجازة من الشيخ، من ذلك ثبت عمر بن أحمد بن علي الحلبي الشماع الشافعي (ت ٩٣٦هـ). وثبت مسموع حلب، لأبي حفص عمر بن محمد بن عمر النصيبي الشافعي. وهناك كتب مشيخات بلد واحد مثل (معجم شيوخ بغداد) لأبي طاهر السلفي (ت٥٧٦هـ). ومعجم شيوخ أصبهان للسلفي أيضًا[٢٠]. وذكر حاجي خليفة ثلاثة وعشرين كتابًا في المشيخات أذكر منها: مشيخة ابن شاذان كبرى وصغرى. ومشيخة ابن القاري خرجها له الحافظ زين الدين العراقي. ومشيخة أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور، ومشيخة أبي الحزم، وذيّلها العراقي، والمشيخة البغدادية للشيخ الإمام أبي طاهر أحمد ابن محمد السلفي الأصبهاني جمع فيها الجم الغفير مع فوائد مالا توصف وجملتها تزيد على مائة جزء[٢١]. كما ذكر الكتاني عددًا من كتب المشيخات[٢٢].

٣- كتب الأنساب:

مثل كتاب السمعاني، وهو منظم على الأنساب وفي طياته وصف لبعض البلدان وشيوخه مع سرد لمن شاهد من شيوخ البلدة التي دخلها، أو النسب المذكور، سواء كان من مشيخته أو غيرهم، ولخّص

أنساب السمعاني القاضي قطب الدين محمد بن عبد الله الخضيري الشافعي ت ٨٩٤هـ. وضمَّ إليها ما عند ابن الأثير والرشاطي وغيرهما من الزيادات، وسماه الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب[٣٢].

ومن كتب الأنساب كتاب أنساب المحدثين لمحب الدين محمد بن محمود ابن النجار البغدادي[٣٣].

٤- كتب الرحلات:

وهي وصف جغرافي لرحلة المحدث بما يمر به من مدن وما يلتقيه من محدثين ومشايخ فيذكر ما رواه عنهم من الأحاديث والمصنفات. وقد اهتم هؤلاء الرواة بوصف ما اجتاز به من الآفاق من وقت مفارقتهم لوطنهم إلى حين عودتهم إليه وصفًا يتماشى مع ما تميل إليه نفسه، ويرتاح إليه خاطره، ويتفق مع ميله الغريزي والتكويني العلمي، فيعرف برجال العلم الديني، ولاسيما بأهل الحديث وأئمة الفقه فيذكر لنا أسماء لفيف منهم وما أخذ عن كل واحد وما اتصل به من أسانيدهم وطرائق رواياتهم، ويجتهد في الحصول على أكثر ما يمكن من الإجازات والطرق، وفي أغلب الأحوال يصف البلاد وما امتازت به، وما احتوت عليه من معالم ورسوم وعادات، ومنهم من انصرفت عنايته إلى الأدب والعلم والدين فقط، فلا يعير اهتمامه بذكر أحوال البلاد التي مرَّ بها، وهناك مدونات للرحالة جمعت بين الناحية الجغرافية والتاريخيّة والعمرانيّة والاقتصاديّة، إضافة إلى العناية بالعلم والدين، وذكر من كان معه في سفره وصاحبه في تنقلاته، ومنصتًا لحديثه ومشاركًا له في مشاهداته، وقد ذكر حاجي خليفة عددًا من كتب الرحلات أذكر منها: رحلة ابن الرشيد محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ٧٢١هـ في ستة مجلدات، ورحلة ابن صلاح الشهرزوري في رحلته إلى الشرق، وهي عظيمة النفع في سائر العلوم مفيدة جدًا، ورحلة بدر الدين محمد بن رضي الدين القزي إلى الديار الرومية، وكثيرًا ما ينقل عنه تقي الدين في طبقاته، ورحلة الفيومية والمكيّة والدمياطية لجلال الدين السيوطي، ورحلة الكتاني أبي الحسين محمد بن جبير الأندلسي تاريخها سنة ٥٧٨هـ، ورحلة محمد بن رشيد المالكي، وغيرها من الرحلات[٣٤].

معاناة الرحلة:

لم تكن الرحلة في طلب الحديث في عصورها الزاهرة سهلة ميسرة، بل كان رواة الحديث يتجشمون العناء الكبير والمشقة الكبيرة أثناء رحلاتهم التي لم تثنها تلك الصعوبات أو تقف حائلاً دونها، وقد تعددت رحلاتهم إلى الأمصار المختلفة، وتكرر دخولهم إلى المدينة التي سبق أن رحلوا إليها، فكلما استجدَّ شيء من الحديث أو برز شيخ من الشيوخ وفي أي مدينة من المدن رحلوا من أجل ذلك، ولا تستغرب أن بعض طلاب الحديث كان يرحل من مصر إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى سيرًا على الأقدام، وكانوا يفتخرون بذلك ويدونونه في مذكراتهم، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: سمعت أبي يقول: "أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمتُ سبع سنين أحصيتُ ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصي مشيي لما زاد على ألف فرسخ تركته، وسرت من الكوفة إلى بغداد فما أحصي كم مرة، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحر من قرب مدينة صلا[٣٥] إلى مصر ماشيًا، ومن مصر

إلى الرملة ماشيًا. ومن الرملة إلى بيت المقدس. ومن الرملة إلى عسقلان. ومن الرملة إلى طبرية. ومن طبرية إلى دمشق. ومن دمشق إلى حمص. ومن حمص إلى إنطاكية. ومن إنطاكية إلى طرسوس. ثم رجعت من طرسوس إلى حمص. وكان بقي علي شيء من حديث أبي يمان. فسمعت ثم خرجت من حمص إلى بيسان. ومن بيسان إلى الرقة. ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد. وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل ومن النيل إلى الكوفة. كل ذلك ماشيًا كل هذا في سفري الأول. وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين[١٣٧]. ويقول أيضًا: "بقيت بالبصرة في سنة أربع عشر ومائتين ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة فانقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئًا بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة. وأسمع منهم إلى المساء. فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خالٍ فجعلت أشرب الماء من الجوع. فإذا كان الغد غدا عليّ رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد. فانصرف عني وانصرفت جائعًا. فلما كان من الغد غدا عليّ فقال: مرَّ بنا إلى المشايخ. قلت: أنا ضعيف لا يمكنني. قال: ما ضعفك؟ لا اكتمك أمري قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئًا. فقال لي: قد بقي معي دينار فأنا أواسيك بنصفه. ونجعل النصف الآخر في الكراء. فخرجنا من البصرة وقبضت منه نصف الدينار ... ويواصل أبو حاتم الرازي الحديث فيقول: لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار[١٣٨]. وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس - أبو زهير المروزي شيخ، وآخر نيسابوري. فركبنا البحر وكانت الريح في وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة أشهر. وضاقت صدورنا. وفنى ما كان معنا من الزاد والماء. فمشينا يومًا وليلة. ولم يأكل أحد منا شيئًا. ولا شربنا. واليوم الثاني كمثل اليوم الأول. كل يوم نمشي إلى الليل. فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا. وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء. فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا فسقط الشيخ مغشيًا عليه. فجئنا عليه. فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري. وتركني فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قومًا قد قربوا سفينتهم من البر ونزلوا على بئر موسى[١٣٩]. فلما عاينهم لوح بثوبه إليهم فجاءوه ومعهم الماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده. فقال لهم: الحقوا رفيقين لي قد ألقيا بأنفسهم مغشيًا عليهم فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عيني فقلت: اسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئًا يسيرًا فشربت ورجعت إليّ نفسي ولم يروقني ذلك القدر. فقلت اسقني. فسقاني شيئًا يسيرًا. وأخذ بيدي. فقلت: وراءي شيخ ملقى. قال: قد ذهب إلى ذاك جماعة. فأخذ بيدي. فقلت وأنا أمشي أجر رجلي ويسقيني شيئًا بعد شيء حتى إذا بلغت عند سفينتهم وأتو برفيقي الثالث الشيخ، وأحسن إلينا أهل السفينة فبقينا أيامًا حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابًا إلى والي مدينة يقال لها راية[١٤٠]. وزودونا من الكعك والسويق والماء[١٤١].

ولنقف على بعض معاناة الإمام أحمد بن حنبل في إحدى رحلاته فقد رهن نعله عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن. وأكرى نفسه من حمالين عند خروجه. وعرض عليه عبد الرزاق بن همام دراهم صالحة فلم يقبلها[١٤٢].

وربما عاد طالب الحديث بعد رحلة مضنية من حيث أتى لأنه فاته شيء من الحديث. ذكر أبو جعفر التمار قال سمعت الشاذكوني - سليمان بن داود - يقول: دخلت الكوفة نيفًا وعشرين مرة أكتب الحديث. فأتيت حفص بن غياث. فكتبت حديثه فلما رجعت إلى البصرة وصرت فيها لقيني ابن أبي خدّويه[١٣٢]. فقال لي: يا سليمان من أين جئت؟ قلت: من الكوفة. قال: حديث من كتبت؟ قلت: حديث حفص ابن غياث. فقال: أكتبت علمه كله؟ قلت: نعم. قال اذهب عليك منه شيء؟ قلت: لا. قال: فكتبت عنه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن النبي(ﷺ) ضحى بكبش. فحيل كان يأكل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد؟ قلت: لا. قال: فأسخن الله عينيك أيش كنت تعمل في الكوفة! قال: فوضعت خرجي عند النرسيين[١٣٣] ورجعت إلى الكوفة. فأتيت حفصًا. فقال: من أين؟ قلت: من البصرة قال: لم رجعت؟ قلت: إن ابن أبي خدّويه ذاكرني عنك بكذا وكذا. قال: فحدثني. فرجعت ولم يكن لي حاجة بالكوفة غيرها[١٣٤].

وقد سجل بعض الرواة ما لاقاه في رحلته إلى الأمصار بأبيات الشعر. مما يدلل على أنهم كانوا يتمتعون بقريحة شعرية ناضجة. ذكر الرامهرمزي[١٣٥]. قال أنشدني شيخ من أهل بابسير في مجلس أبي عبد الله ابن البري لرجل وفد إلى يزيد بن هارون من حرّان في شعر له قال:

أقبلت أهوي على حيزوم طاوية
في لجة اليم لا ألوي على سكن
حتى أتيت أمام الناس كلهم
في الدين والعلم والآثار والسنن
أبغي به الله لا الدنيا وزخرفها
ومن يغتني بدين الله لا يهن
يا لذة العيش لما قلت حدثنا
عوف وبشر عن الشعبي والحسن

وقال رجل يدعى الحطيم في سفيان بن عيينة وكان مع هارون بن معروف[١٣٦]:

سيرى نجاء وقاك الله من عطب
حتى تلاقي بعد البيت سفيانا
شيخ الأنام ومن جلت مناقبه
لاقى الرجال وحاز العلم أزمانا
حوى البيان وفهمًا عاليًا عجبًا
إذا ينص حديثًا نص برهانا
قد زانه الله أن دان الرجال له
فقد يراه رواة العلم ريحانا
ترى الكهول جميعًا عند مشهده
مستنصتين وشيخانًا وشبانا
يضم عمرًا إلى الزهري يسنده
وبعد عمرو إلى الزهري صفوانا
وعبدة وعبيد الله ضمهما
إلى السبيعي أيضا وابن جدعانا
فعنهم عن رسول الله يوسعنا
علمًا وحكمًا وتأويلاً وتبيانا

نماذج من رحلات المحدثين

القرن الأول

(رحلة الصحابة)

ونكتفي بنموذج واحد وهو الصحابي جابر ابن عبد الله الأنصاري (ت٧٧هـ) الخزرجي السلمي المدني الفقيه. من أهل بيعة الرضوان.

وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا. كان مفتي المدينة في زمانه. وكان والده من النقباء استشهد يوم أُحد. شارك في غزوات الرسول كلها إلاَّ بدرًا. روي عنه أنه قال: غزوت مع رسول الله (ﷺ) ست عشر غزوة. ولم أشهد بدرًا: لأن أبي منعني. فلما قتل لم أتخلف عن الخروج مع رسول الله (ﷺ). بلغ مسنده ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا. اتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثًا. وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثًا، ومسلم بمئة وستة وعشرين حديثًا[١٠٨]. رحل جابر بن عبد الله الأنصاري إلى الشام لسماع حديث المظالم من عبد الله بن أنيس الأنصاري. فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب أنّ جابر بن عبد الله حدثه قال: بلغني عن رجل من أصحاب الرسول(ﷺ) حديث سمعه من رسول الله (ﷺ) لم أسمعه. فابتعت بعيرًا فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهرًا حتى أتيت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري. قال:- فأرسلت إليه أنّ جابرًا عند الباب. قال فرجع إليّ الرسول. فقال جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم. قال: فرجع الرسول إليه. فخرج إليّ فعانقني واعتنقته. قال: قلت حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله(ﷺ) في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه. فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "يحشر الله العباد أو قال يحشر الله الناس. قال وأومأ بيده إلى الشام - عراة غرلاً بُهْمًا" قلت ما بُهْمًا؟ قال: ليس معهم شيء. قال: فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب "أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة. ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة" قال: قلنا كيف هو وإنما نأتي الله تعالى عراة غُرْلاً، قال بالحسنات والسيئات[١٠٩].

القرن الثاني
مكحول الدمشقي الفقيه (ت١١٢هـ)

هو مكحول بن أبي مسلم الهذيلي الدمشقي[١١٠] قيل: كان سبي كابل، وقيل: أصله من هراة. واختلف في ولائه. فقيل مولى امرأة هذلية وقيل هو من هذيل[١١١].

أرسل عن النبي (ﷺ) وعن عدد من الصحابة. وروى عن طائفة من قدماء التابعين مثل أبي امامة الباهلي وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن غنم كما روى عن الصحابي أنس بن مالك. وروى عنه الزهري. وربيعة الرأي. وابن عون. ومحمد بن إسحاق. وحجاج بن أرطأة. وأبو عمرو الأوزاعي. كان كثير الترحال روى ابن إسحاق أنه سمع مكحولاً يقول: "طفت الأرض كلها في طلب العلم"[١١٢].

قال مكحول متحدثًا عن بعض رحلاته: كنت عبدًا بمصر لمرأة من هذيل فأعتقتني. فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى. ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى. ثم أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عيله فيما أرى. ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك أسأل عن النفل[١١٣]، فلم أجد أحدًا يخبرني فيه بشيء. حتى أتيت شيخًا يقال له زياد بن جارية التميمي. فقلت له: هل سمعت شيئًا في النفل؟ قال: نعم سمعت حبيب بن مسلمة

الزهري يقول شهدت النبي (ﷺ) نقل الربع في البداءة والثلث في الرجعة[١٠٢].

القرن الثاني

عبد الله بن المبارك المروزي الحافظ المجاهد

١١٨هـ - ١٨١هـ

فخر المجاهدين وقدوة الزاهدين وأمير المؤمنين في الحديث. كان إمامًا في علوم عصره[١٠٣]. أقدم شيوخه الربيع بن أنس الخرساني. قيل تحيّل ودخل إليه السجن. ثم ارتحل في سنة (١٤١هـ)[١٠٤]. ذكر أبو حاتم الرازي أن ابن المبارك سمع من الربيع بن أنس لما كان متخفيًا عند حائك فتحايل عليه ابن المبارك ودفع له أربعين درهمًا. فأذن له فدخل على الربيع فسمع منه أربعين حديثًا[١٠٥].

وروى ابن المبارك عن سليمان التيمي. وعاصم الأحول. والأعمش. وخالد الحذاء. وموسى بن عقبة. وسفيان الثوري. وشعبة وآخرين. وقال عن نفسه حملت العلم عن أربعة آلاف شيخ. فرويت عن ألف شيخ. قال العباس بن مصعب فتتبعتهم حتى وقع لي ثمان مئة شيخ له[١٠٦].

روى عنه معمر وسفيان الثوري. وعبد الرزاق بن همام ويحيى ابن معين وعبدان وآخرون.

وقال الذهبي: وأمم يتعذر إحصاؤهم. ويشق استقصاؤهم. وحديثه حجة في الإجماع. وهو في المسانيد والأصول[١٠٧].

قال أبو حاتم: كان ابن مبارك ربع الدنيا بالرحلة في طلب الحديث لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام ولا الجزيرة ولا البلدة ولا الكوفة[١٠٨].

وقال الذهبي: أكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة والأنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه إلى الحج[١٠٩].... وارتحل إلى الحرمين والشام والعراق والجزيرة وخرسان. وحدث بأماكن[١١٠]. أفنى عمره في الأسفار حاجًا ومجاهدًا في سبيل الله وتاجرًا وطالب علم. وربما رحل ابن مبارك في طلب الحديث الواحد. ذكر هارون بن المغيرة أنّ ابن المبارك قدم عليه وسأله وهو على راحلته عن حديث "لا تشتر مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد ، فحدثته به فقال: ما وضعت رحلي من مرو إلا لهذا الحديث[١١١].

قال أحمد بن حنبل: لم يكن زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه. رحل إلى اليمن وإلى مصر وإلى الشام والبصرة والكوفة. وكان من رواة العلم وأهل ذلك. كتب عن الصغار والكبار. كتب عن عبد الرحمن بن مهدي وعن الفزاري وجمع أمرًا عظيمًا[١١٢].

القرن الثالث

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ١٩٤هـ - ٢٥٦هـ

هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ محمد بن إبراهيم بن المغيرة. أبو عبد الله الجعفي البخاري. صاحب الجامع الصحيح والتاريخ[١١٣]. ولد سنة ١٩٤هـ. وتوفي في سنة ٢٥٦هـ[١١٤].

قال الخطيب: رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار. وكتب بخرسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر[١١٥]. أول سماعه للحديث سنة ٢٠٥هـ[١١٦].

سمع مرويات بلده من محمد بن سلام والسندي. ومحمد بن يوسف البيكندي. وسمع ببلخ

من مكي بن إبراهيم، وببغداد من عفان بن مسلم، وبمكة من المقرئ، وبالبصرة من أبي عاصم والأنصاري، وبالكوفة من عبد الله بن موسى، وبالشام من أبي المغيرة والفريابي، وبعسقلان من آدم، وبمصر من أبي اليمان، وبدمشق من أبي مسهر[١٣٠]. والتقى بشيخه إسحاق بن راهويه بنيسابور[١٣١]. قال البخاري عن نفسه: كتبت عن أكثر من ألف رجل[١٣٢]. تحمل الجوع والعُرْيَ خلال رحلته إلى البصرة، روى عمر بن حفص الأشقر، قال: "كنا مع محمد بن إسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أيامًا فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شيء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبًا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث"[١٣٣]. وقال: لما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء. ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، ورجع أخي بأمي وتخلفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة جعلتُ أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم... وصنفت كتاب التاريخ آن ذاك عند قبر الرسول(ﷺ) في الليالي المقمرة وقل اسم في التاريخ ألا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب[١٣٤]. ومن مظاهر الحفاوة باستقباله في المدن الإسلامية وبالأخص بعد أن لمع أسمه في رواية الحديث ففي البصرة يقول يوسف بن موسى المروزي: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت مناديًا ينادي: يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا في طلبه وكنت معهم فرأينا رجلاً شابًا لم يكن في لحيته شيء من البياض يصلي خلف الأسطوانة. فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء. فأجابهم إلى ذلك فقام المنادي ثانيًا في جامع البصرة ينادي قد قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء. فأجاب أن يجلس غدًا في موضع كذا، قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا، وقال قبل أن يأخذ في الإملاء: يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل، قال فبقي الناس متعجبين من قوله، ثم أخذ في الإملاء[١٣٥]. وروى الخطيب البغدادي أنَّ أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسونه في بعض الطريق فيجتمع عليه آلوف أكثرهم مما يكتب عنه[١٣٦]. وكان البخاري يفتخر بحب أهل البصرة وتعظيمهم إياه حتى إنه لما رجع إلى مرو تلقاه من تلقاه من الناس، وازدحموا عليه وبالغوا في برّه، فقيل له في ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة[١٣٧]. ومن نوادر رحلته أن أهل بغداد أرادوا اختباره فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل منهم عشرة أحاديث، وألقوها في المجلس على البخاري، والبخاري يرد عليهم بعد كل حديث بقوله: "لا أعرفه"، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم ومن لم يكن فهيما يقضي على البخاري بالعجز والتقصير، وقلة الفهم، فلما اكتمل طرح الأحاديث التفت إليهم، فقال للأول منهم أما حديثك الأول الذي قلت فيه كذا وكذا فهو كذا، وهكذا جاء على أحاديثهم جميعًا حتى إذا ردّ متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وردّ الأسانيد إلى متونها أقر له الناس

بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: ((الكبش النطّاح))[١٠٠].

القرن الرابع

ابن مندة ٣١٠هـ - ٣٩٥هـ

الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام. أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن محمد بن يحيى بن مندة[١٠١].

ولد سنة (٣١٩هـ) وقيل (٣١١هـ). وأول سماعه في سنة (٣١٨هـ)[١٠٢] سمع من أبيه وعم أبيه عبد الرحمن بن يحيى. ومن محمد بن عمر. وعبد الله ابن يعقوب بن إسحاق الكرماني... وخلق بأصبهان. وسمع أبا سعيد بن الأعرابي وطبقته بمكة. وجعفر ابن محمد بن موسى العلوي بالمدينة. وأحمد بن زكريا المقدسي وعدة ببيت المقدس. ومن أبي حامد ابن بلال. ومحمد بن حسين القطان. وأبي علي بن محمد بن أحمد الميداني... وطبقتهم بنيسابور. وسمع ببخارى من الهيثم بن كليب الشاشي. وطائفة. وسمع ببغداد من إسماعيل الصفّار. وأبي جعفر بن البختري الرزاز وطبقتهما. وسمع بمصر من أبي الطاهر أحمد بن عمرو المديني. والحسن ابن يوسف الطرائفي. وأحمد بن بهزاد الفارسي. وأقرانهم. وسمع بسرخس من عبد الله بن محمد ابن حنبل. وبمرو من محمد بن أحمد بن محبوب ونظرائه. وبدمشق من إبراهيم بن محمد بن صالح ابن سنان القنطري وخلق. وبطرابلس من خيثمة بن سلمان القرشي. وبحمص من الحسن بن المنصور الإمام وبتنيس من عثمان بن محمد السمرقندي. وبغزة من علي بن العباس الغزي. وسمع من خلق سواهم بمدائن كثيرة[١٠٣].

قال الذهبي: إنَّ عدة الشيوخ ألف وسبع مائة شيخ[١٠٤].

قال الحسين بن عبد الملك: كتب إلي عبد الرحمن بن أبي عبد الله أنّ والده كتب عن أربعة مشايخ. أربعة آلاف جزء. وهم: أبو سعيد بن الأعرابي. وأبو العباس بن الأصم وخيثمة الطرابلسي والهيثم الشاشي[١٠٥].

أول رحلاته كانت إلى نيسابور وعمره تسع عشرة سنة. وسمع بها نحوًا من خمسمائة ألف حديث[١٠٦]. قال الحاكم: وأول خروج ابن مندة من عندنا سنة ٣٣٩هـ. فسمع بها وبالشام[١٠٧]. وقال أيضًا: التقينا ببخارى سنة ٣٦١هـ. وقد زاد زيادة ظاهرة ثم جاءنا إلى نيسابور سنة ٣٧٥هـ ذاهبًا إلى وطنه[١٠٨]. وقال الذهبي: ولم أعلم أحدًا كان أوسع رحلة منه. ولا أكثر حديثًا منه. مع الحفظ والثقة[١٠٩]. وقال ابن مندة: طفت الشرق والغرب مرتين[١١٠]. وقال الحاكم: كان أول خروج ابن مندة إلى العراق من عندنا سنة ٣٣٩هـ سمع بها وبالشام. وأقام بمصر سنتين. ورحل إلى خراسان وما وراء النهر والعراق والحجاز. لكنه لم يدخل البصرة إذ إنه ارتحل إليها للقراءة على مسندها علي بن إسحاق الماذرائي فبلغه موته قبل وصوله إليها فحزن ورجع. لذلك. فكان ابن مندة يتأسف على ذلك ويقول إذا قيل له فاتك سماع كذا وكذا يقول: ما فاتنا من البصرة أكثر[١١١]. قال الذهبي: بقي أبو عبد الله في الرحلة بضعًا وثلاثين سنة. وأقام زمانًا بما وراء النهر. وكان ربما عمل بالتجارة ثم رجع إلى بلده[١١٢]. وقال في موضع آخر: كان ختام الرحالين وفرد المكثرين مع الحفظ والمعرفة والصدق وكثرة الطلب[١١٣]. وقال ابن تغري بردى: رحل وطوّف الدنيا وجمع وصنّف وكتب ما لا

يحصى[١٢١]. حدث شيخ جمال عبيد الله بن محمد ابن مندة، قال: "كنت قافلاً من خراسان مع أبي، فلما وصلنا إلى ههنا - يعني بئر مجنة -[١٢٢]، إذا نحن بأربعين وقراً من الأحمال، فظننا أنها منسوج الثياب، وإذا خيمة صغيرة فيها شيخ فإذا هو والدك - أي الحافظ ابن مندة فسأله بعضنا عن تلك الأحمال، فقال: هذا متاع قلّ من يرغب فيه في هذا الزمان، هذا حديث رسول الله ﷺ[١٢٣]. قال ابن مندة: رأيت ثلاثين ألف شيخ، فعشرة آلاف ممن أروي عنهم وأقتدي بهم، وعشرة آلاف أروي عنهم ولا أقتدي بهم، وعشرة آلاف نظرائي، وليس من الكل واحداً إلا وأحفظ عنه عشرة أحاديث أقلها[١٢٤].

قال الذهبي معلقاً على هذه الرواية: الصحيح أنه كتب عن ١٧٠٠ شيخ، وهو شيء يقبله العقل، ناهيك به كثرة[١٢٥]. ترجم لابن مندة ابن الجزري فقال: "الحافظ الكبير الجوال صاحب التصانيف إمامٌ كبير، جال الأقطار وانتهى إليه علم الحديث بالأمصار، لا نعلم أحداً رحل كرحلته ولا كتب ككتابته، فإنه بقي في الرحلة أربعين سنة، وكتب بخطه فيها عدّة أحمال، ثم عاد إلى وطنه شيخاً، وقد كتب عن ألف وسبعمائة شيخ، ومعه أربعون حملاً من الكتب[١٢٦].

مات ابن مندة في سلخ ذي القعدة سنة (٣٩٥هـ)[١٢٧].

القرن الخامس

الخطيب البغدادي

أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت

٣٩٢ - ٤٦٣هـ

الحافظ الكبير محدث الشام والعراق، ولد في قرية درزيجان من سواد العراق، وكان أبوه يتولى الخطابة والإمامة في جامعها[١٢٨]. نشأ ببغداد ورحل وسمع الحديث[١٢٩]، وأول سماعه سنة ٤٠٢هـ، ثم ألهم طلب الحديث ورحل فيه إلى الأقاليم[١٣٠]. قال الذهبي[١٣١]: سمع الخطيب أبا الحسن بن الصلت وأبا عمر بن مهدي والموجودين في بغداد، وارتحل سنة ٤١٢هـ إلى البصرة فسمع أبا عمر القاسم بن جعفر الهاشمي وآخرين، وسمع بنيسابور أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، والقاضي أبا بكر الحيري وطبقتهما، وسمع بأصبهان أبا القاسم عبد الرحمن ابن محمد السراج والقاضي أبا بكر الحيري وطبقتهما، وسمع بأصبهان أبا الحسن بن عبد كويه، وأبا نعيم الحافظ وغيرهما، وسمع بدينور من أبي نصر كسار وطائفة، وبهمدان من محمد بن عيسى وطائفة، وبالكوفة والري والحرمين ودمشق والقدس وصور وغيرها، وكان مجيئه إلى دمشق سنة ٤٤٥هـ، ثم حج، ثم قدم الشام سنة ٤٥١هـ، فسكنها إحدى عشرة سنة، ثم خرج من الشام سنة ٤٥٧هـ، وقصد صور والقدس، وكان إذا أراد الرحيل استشار أقرانه، ولما أراد الرحلة إلى أبي محمد عبد الرحمن بن النحاس بمصر استشار البرقاني في أن يخرج إلى مصر أو إلى نيسابور، فقال: إنك إن خرجت إلى مصر أنما تخرج إلى واحد إن فاتك ضاعت رحلتك، وإن خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة إن فاتك واحد أدركت من بقي فخرجت إلى نيسابور[١٣٢]. قال ابن الجوزي انتهى إليه علم الحديث وصنف فأجاد وله ستة وخمسون مصنفاً، وكان حريصاً على علم الحديث، فكان يمشي في الطريق وفي يده جزء

يطالعه[١٢٣]. توفي الخطيب يوم الأثنين سابع ذي الحجة سنة ٤٦٣هـ[١٢٤].

القرن السادس

ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله ٤٩٩-٥٧١هـ

الحافظ الكبير ولد سنة ٤٩٩هـ، ومات سنة ٥٧١هـ[١٢٥]. وكان عارفًا بالعلوم، غير أنه غلب عليه الحديث، واشتهر به وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره، فرحل وطاب وجاب البلاد ولقي المشايخ، وكان رفيق الحافظ أبي سعد عبد الكريم السمعاني في الرحلة[١٢٦]. قال اليافعي: سمع ببغداد سنة ٥١٠هـ من أصحاب البرمكي والتنوخي والجوهري ثم رجع إلى دمشق ثم رحل إلى خرسان ودخل نيسابور وهراة وأصبهان والجبال[١٢٧].

وقال كحالة: محدّث حافظ فقيه مؤرخ ولد في المحرم ورحل إلى العراق ومكة والمدينة والكوفة وأصبهان ومرو ونيسابور وهراة وسرخس وأبيورد وطوس والري وزنجان، وغيرها من البلدان، وسمع عدة من الشيوخ والنساء[١٢٨]. وكانت رحلته إلى العراق سنة ٥٢٠هـ، وأقام بها خمس سنين وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره وحج في سنة ٥٢١هـ، وسمع بمكة ومنى والمدينة والكوفة وأصبهان القديمة واليهودية ومرو ونيسابور وهراة وسرخس وأبيورد وطوس وبطان الري وزنجان، وعدد شيوخه ١٣٠٠، ومن النساء بضع وثمانون امرأة[١٢٩].

ولما قدم إلى بغداد أعجب به البغداديون، وقالوا: قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم، وذكروا منهم ابن عساكر[١٣٠]. وقال ابن عساكر متحدثًا عن علمية شيوخه: لم أرَ بدمشق أفهم للحديث من أبي محمد بن الأكفاني، ولا ببغداد مثل أبي الفضل محمد بن ناصر، وأبي عامر العبدري، ولم أرَ بخرسان مثل أبي القاسم الشحامي، ولا بأصفهان مثل أبي القاسم التميمي الحافظ[١٣١].

توفي ابن عساكر في رجب سنة ٥٧١هـ له ٧٣ سنة إلا شهرًا[١٣٢].

القرن السابع

المنذري

زكي الدين، عبد العظيم بن عبد القوي ٥٨١-٦٥٦هـ

محدّث حافظ فقيه مشارك في القراءات واللغة والتاريخ، ولد في غرة شعبان وسمع من خلق لقيهم في الحرمين ومصر والشام والجزيرة[١٣٣]. اعتنى به والده منذ الصغر، وابتدأ السماع بإجازة والده وله من العمر عشر سنين، فحضر مجالس العلماء، ولازم أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي (ت٦١١هـ)، وسمع من أبي عبد الله محمد بن حمد الارتاحي وهو أول شيخ لقيه، وذلك في سنة ٥٩١هـ، ومن عمر بن طبرزذ وهو أعلى شيخ له، ومن يونس بن يحيى الهاشمي لقيه بمكة، وجعفر بن محمد بن أموسان أملى عليه بالمدينة، وأبي اليمن زيد بن الحسن الكندي وغيرهم كثير ممن لقيهم بالحرمين - مكة والمدينة - ومصر والشام والجزيرة، ومع حفظه الحديث وروايته له فهو مقرئ قرأ القراءات على أبي الثناء حامد بن أحمد الأرتاحي، وأخذ العربية عن أبي الحسين يحيى بن عبد الله الأنصاري، وتفقه على الإمام أبي القاسم

عبد الرحمن بن محمد القرشي الشافعي، ودرّس في الجامع الظافري. ثم وليّ مشيخة الدار الكاملية وانقطع بها عاكفًا على العلم، وكان عديم النظير في علم الحديث على اختلاف فنونه[١٧٥].

توفي ٤ ذي القعدة سنة ٦٥٦هـ[١٧٦].

القرن الثامن

شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٦٧٣هـ - ٧٤٨هـ

ولد في دمشق عام ٦٧٣هـ من عائلة علمية متدينة كان لها حظ وافر من العلم، وما كاد يطل على الدنيا حتى سارع علاء الدين العطار، أحد محدثي العصر وأخوه من الرضاعة فاستجاز للمولود بعيد ميلاده شيوخ الحديث في عصره قبل أن يدب أو يتكلم[١٧٦]. اشتغل والد الذهبي وعمّه وخاله بطلب الحديث، فلم يكن بد من أن يستهويه علم الحديث منذ صغره. فمال إليه بعد ميله بالقرآن سنة ٦٩١هـ، وكان عمره حينذاك ثماني عشرة سنة فلقي الكثير من الشيوخ والشيخات، وبلغ تعدادهم ألفًا ومائتين أو يزيد[١٧٧]. ثم رحل شطر البلدان يستمع الحديث فرحل رحلات متعددة إلى بعلبك وحمص وحماة وحلب، والمعرّة وطرابلس وزار الخليل ونابلس والرملة، ثم مضى إلى القاهرة وبلبيس والإسكندرية، ثم قصد مكة والمدينة. وربما شاركه أبوه في بعض رحلاته[١٧٨]. وكانت أولى زيارة له إلى بعلبك سنة ٦٩٣هـ، ثم زارها سنة ٦٧٧هـ وزار في سنة ٦٥٩هـ الخليل وسافر إلى مصر. وكان رفيقه في هذه الرحلة أخوه من الرضاع داود بن إبراهيم العطار[١٧٩]. ثم سافر مرة أخرى إلى مصر سنة ٦٩٧هـ بعد وفاة والده وعاد منها سنة ٦٩٩هـ. تولى الخطابة في مسجد الحق بكفر بطنا قرية من غوطة دمشق، حيث أقام بها وجعلها مركزًا للحديث[١٨٠]. توفي ليلة الاثنين ثالث عشر، وقيل ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ ودفن بباب الصغير وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه[١٨١].

القرن التاسع

ابن الحجر العسقلاني

٧٧٣ - ٨٥٢هـ

الحافظ الشهير أحمد بن علي ابن محمد بن حجر العسقلاني، الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في زمنه، ولد بمصر في ١٢ شعبان سنة ٧٧٣هـ ونشأ يتيمًا[١٨٢]. كان بداية طلبه الحديث سنة ٧٩٣هـ، ودرسه على يد شيخه زين الدين العراقي، وحمل عنه جملة نافعة في علم الحديث سندًا ومتنًا وعللاً واصطلاحا[١٨٣]. واستمر ملازمًا لشيخه عشر سنوات[١٨٤]. شدّ الرحال وتنقل في البلدان، وسمع العالي والنازل، وأخذ عن شيوخه وأقرانه. فارتحل أولاً إلى مدن مصر إلى قوص وغيرها من بلاد الصعيد سنة ٧٩٣هـ، وفي أواخر سنة ٧٩٧هـ رحل إلى الإسكندرية، واشترك معه في الأخذ عن المشايخ قريبه الزين شعبان. وجنح ابن حجر ما ستفاده من هذه الرحلة في جزء سماه (الدرر المضيّة من فوائد الإسكندرية)[١٨٥].

ثم رجع إلى مصر وأقام فيها، وفي سنة٧٩٩هـ توجه إلى أرض الحجاز عن طريق البحر، ومنها توجه إلى اليمن[١٨٦]. وتكررت رحلات ابن حجر إلى الحجاز مرات عدة، كما رحل إلى اليمن أكثر من مرة[١٨٧]. وفي إحدى

رحلاته إلى اليمن غرق المركب الذي يستقلّه وغرق جميع ما معه من الأمتعة والكتب التي كان بعضها بخطه[١٠٠].

ورحل إلى الشام سنة ٨٠٢هـ وصحبه قريبه الزين شعبان. فسمع من الشيوخ في بير ياقوس وقطية وغزة ونابلس والرملة وبيت المقدس والخليل ودمشق والصالحية، وغيرها من القرى والبلاد، والتقى بعدد من المسندين والعلماء[١٠١]. ثم رحل إلى دمشق وأقام فيها مائة يوم وسمومه في تلك الرحلة نحو ألف جزء حديثية[١٠٢]. وأسرع ما وقع له في رحلته الشامية أنه قرأ معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، وقرأ صحيح البخاري بعشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات[١٠٣]. ولم يكن اهتمام ابن حجر مقتصرًا على علم الحديث فقط، وإنما درس القراءات واللغة واهتم بالأدب والتاريخ وكثير من العلوم حتى إنه قال: "أنا أقرأ في خمسة عشر علمًا لا يعرف علماء عصري أسماءها"[١٠٤].

قال الأستاذ كحالة وهو يترجم لابن حجر: محدث مؤرخ أديب شاعر[١٠٥]. غير أنه تصدّى لنشر الحديث، وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وتصنيفًا، تفرد بذلك وصار إطلاق لفظ الحافظ عليه كلمة إجماع، وأصبح محل رحلة طلبة العلم، وطار اسمه ومؤلفاته في حياته وانتشرت في البلاد، ومعظم تصانيفه في الحديث، وأجل مصنفاته فتح الباري الذي بدأ التأليف فيه سنة ٨١٧هـ وانتهى منه سنة ٨٤٢هـ[١٠٦].

توفي في ١٨ ذي الحجة سنة ٨٥٢[١٠٧].

الخلاصة وأهم الاستنتاجات

تبين لنا بعدُ مما استعرضناه بصورة مفصّلة أهمية الرحلة في طلب الحديث والتعرف على أحوال الرحالة والمشاق التي حملوها في سبيل الواجب الذي عاهدوا الله من أجله، وما كانوا ينتظرون من جزيل الأجر من الله سبحانه وتعالى، وهم يجاهدون ويتحملون الصعاب في التحصيل العلمي وجمع الأحاديث النبوية الشريفة بعد أن كانت محفوظة في صدور الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان. وقد ساهمت الرحلة في جمع أحاديث الرواة ومن ثمّ كان من ثمرتها الكتب الستة، وكتب الحديث الأخرى. كما كان للرحلة أثرها في تمحيص الأحاديث والوقوف على أحوال الرجال فكان في محصلة الرحلة أن دون في علوم جديدة مثل الجرح والتعديل، وكتب المشيخات والمعاجم، وفهارس الكتب. كما كانت تلك الأحاديث قد غذت المعرفة التاريخيّة لدى مؤرخي الإسلام كالطبري وابن الأثير وابن كثير والذهبي وابن حجر وغيرهم. وحققت الرحلة استكشاف البلدان والوقوف على أحوالها، فظهرت كتب معاجم البلدان، مثل معجم البلدان لياقوت الحموي. كذلك الحال في كتب الرحلات وكتب الأنساب، وكتب التراجم والوفيات، وكتب الأدب والأخلاق والفلسفة والعقائد وغيرها. ونتج من هذه الرحلات تقوية العلاقات بين أقطار العالم الإسلامي، فزاد من أواصر الوحدة الإسلامية قوة، وأصبح ابن الأندلس والمغربي يشعران بفضل أبناء الأقطار الإسلامية الشرقية، وهؤلاء يشعرون بحاجتهم إلى نتاج علوم أبناء المغرب العربي، وفي علم هؤلاء وهؤلاء خير كثير. ■

الحواشي

١ مادة رحل: ١١٤٢/١ -١١٤٣.

٢- يوسف: ٧٠

٣- يوسف. ٦٢

٤ النجم.٣٩-٤٠

٥- الملك: ١٥.

٦- يوسف .٥٨-٥٩.

٧ - انظر مزيداً من التفصيل. المفصل:٢٧٨/٧ -٣٠٧.

٨- قريش:١- ٤.

٩- الكهف. ٦٠-٦٨.

١٠- صحيح البخاري:٢٨/١ -٢٩. الرحلة في الطلب الحديث: ٩٧ -١٠٨.

١١- جامع بيان العلم وفضله:٣٤/١.

١٢- الجامع الصغير.٥٢٩/٢ ح ٨١٣٧. وقال حديث حسن.

١٣- رواه ابن ماجه:٨١/١ ح٢٢٣، ورواه أبو داود: ٣١٦/٣ ح٣٦٤١. واللفظ له وساق فيه قصة.

١٤- الطبقات الكبرى:٥/٧ وما بعدها.

١٥- المصدر نفسه: ١٢/٦ وما بعده.

١٦- المصدر نفسه: ٣٨٤/٧.

١٧- المصدر نفسه: ٤٩٣/٧.

١٨- المصدر نفسه: ٣٦٥/٧.

١٩- المصدر نفسه: ٥٢٣/٧.

٢٠- المصدر نفسه: ٤٧٦/٧.

٢١- المصدر نفسه: ٥٣٠/٥ وما بعده.

٢٢- المصدر نفسه: ٥٥٧/٥ وما بعده.

٢٣- مسند الحميدي :١٩٨ ح٣٨٤. وانظر الرحلة في طلب الحديث:١١٨-١١٩ وما بعدها.

٢٤- الرحلة في طلب الحديث: ١١٠ -١١١. وأنظر علوم الحديث لصبحي الصالح:٥٤.

٢٥- الرحلة في طلب الحديث: ١٤٧ -١٤٨.

٢٦- المصدر نفسه: ١٢٧ وما بعدها. وعلوم الحديث:٥٤.

٢٧- المصدر نفسه: ١٤٤ و ١٤٥.

٢٨- المحدث الفاصل:٢٣٦.

٢٩- المصدر نفسه: ٢١٦-٢١٧.

٣٠- البعل هو الدهش عند الروع. لسان العرب:٢٣٧/١. والصحاح للجوهري:١٠١/١.

٣١- المحدث الفاصل: ٢١٧-٢١٨.

٣٢- المصدر نفسه: ٢٣٦.

٣٣- علوم الحديث:٥٥-٥٦.

٣٤- الحديث والمحدثون: ١٠٩.

٣٥- كشف الظنون: ٦٣٧/١.

٣٦- مقدمة الرحلة في طلب الحديث:١٧.

٣٧- تدريب الراوي:١٤٢/٢.

٣٨- المصدر نفسه.١٦٠/٢.

٣٩- علوم الحديث:٢٣١، منهج النقد في علوم الحديث :٣٥٨.

٤٠- المصدر نفسه: ٢٣١، منهج النقد في علوم الحديث: ٣٥٨.

٤١- المحدث الفاصل: ٢١٦. علوم الحديث :٢٣٨.

٤٢- تدريب الراوي : ١٦٢/٢.

٤٣- نزهة النظر:٦٠- ٦١. بتصرف. وقارن بتدريب الراوي: ١٦٥/٢-١٦٦. علوم الحديث:٢٣٧ -٢٣٨.

٤٤- نزهة النظر. ٦٠ -٦١. وقارن بتدريب الراوي:١٦٥/٢ - ١٦٦.

٤٥ - علوم الحديث : ٢٣٧ -٢٣٨.

٤٦- تدريب الراوي:٢/ ١٦٠. منهج النقد في علوم الحديث: ٣٥٩.

٤٧- علوم الحديث:٢٣١. منهج النقد في علوم الحديث: ٣٥٩.

٤٨- الكفاية:١٥٧.

٤٩- المحدث الفاصل. ٤٠.

٥٠- المصدر نفسه.

٥١- تاريخ بغداد: ٣٥٣/١٢ - ٣٥٤. انظر الرحلة في طلب الحديث: ٢٠٨. مناقب الإمام أحمد: ٧٩-٨٠. سير أعلام النبلاء: ١٤٨/١٠. تهذيب التهذيب: ٢٧٤/٨.

٥٢- الرحلة في طلب الحديث:١٢٧. وما بعدها. علوم الحديث: ٥٤.

٥٣- الحديث والمحدثون: ١٠٩. مقدمة الرحلة في طلب الحديث:١٨.

٥٤- الرحلة في طلب الحديث: ١٣٥ -١٣٦.

٥٥- المصدر نفسه. ١٥٢ -١٥٣ وساق فيه قصة.

٥٥٦ -٤٠٢

٥٧- تدريب الراوي : ١٤٢/٢.

٥٨- ٥٥٠.

٥٩- مقدمة الرحلة في طلب الحديث:٢٤.

٦٠- تاريخ بغداد: ١٣/ ١١٨.

٦١- صحيح البخاري:١/١.

٦٢- علوم الحديث:٥٨.

٦٣- المصدر نفسه.

٦٤- جامع العلوم والحكم:٥.

٦٥- علوم الحديث:٥٩.

٦٦ بحوث في تاريخ السنة،٢٢٢-٢٢٣.

٦٧- مقدمة الرحلة : ٢٥ -٢٦.

٦٨- سيظهر ذلك واضحًا من نماذج الرحالين التي سنذكرها في قادم البحث.

٦٩- سير أعلام النبلاء :١٠/١٥٢.

٧٠- المصدر نفسه. تهذيب التهذيب:٨/٢٧٥.

٧١- سير أعلام النبلاء:١٠/١٥٢.

٧٢- الكفاية: ١٥٦.

٧٣- المصدر نفسه. علوم الحديث صبحي الصالح ٦٣.

٧٤- الكفاية ١٥٦ .

٧٥- المصدر نفسه: ١٥٣ -١٥٤.

٧٦- مرآة الجنان: ٢/٢٦. ونفى اليافعي نسبة البيتين للإمام الشافعي وقال إنهما لإمام الحرمين عبد الملك الجويني أ.هـ. انظر شعر الشافعي: ١٦٥. ديوان الإمام الشافعي:٤١.

٧٧- تدريب الراوي:٢/١٤٢.

٧٨- علوم الحديث،٢٢٢.

٧٩- الرحلة في طلب الحديث:٩٢.

٨٠- المصدر نفسه. تهذيب التهذيب:٥/٣٦٧.

٨١- مقدمة الرحلة في طلب الحديث:٢٩.

٨٢- سير أعلام النبلاء: ٣٠/٥٦٧.

٨٣- مقدمة سير أعلام النبلاء:١/ ٢٤ -٢٥.

٨٤- مقدمة الرحلة في طلب الحديث:٣١ بتصرف.

٨٥- مقدمة مشيخة النعّال:١٧.

٨٦- المصدر نفسه.

٨٧- المصدر نفسه: ١٨.

٨٨- الرسالة المستطرفة:١٤٠.

٨٩- المصدر نفسه.

٩٠- المصدر نفسه: ٢١.

٩١- كشف الظنون: ٢/١٦٩٦.

٩٢- الرسالة المستطرفة.١٤٠ -١٤٢.

٩٣- المصدر نفسه: ١٣٥.

٩٤- المصدر نفسه. وهناك كتب أخرى في الأنساب ذكرها الكتاني.

٩٥- كشف الظنون: ١/٨٣٦.

٩٦- لم أقف على موقعها.

٩٧- تقدمة المعرفة: ٣٥٩ -٣٦٠.

٩٨- مدينة على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة يوم وليلة. وبينها وبين إيلة نحو من عشر مراحل. وإلى ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل. ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند. انظر معجم البلدان:٢/٩٢ -٩٣.

٩٩- لم أقف على موقعها.

١٠٠- محلة عظيمة بفسطاط مصر في وسطها جامع عمرو بن العاص(رضي الله عنه) وسميت بذلك لأن عمرو بن العاص لما رأى تنازع القبائل التي معه حول أيّ راية يقعدون تحتها. قال أنا أجعل لكم راية ولا أنسبها إلى واحد منكم ويكون موقفكم تحتها. وتسمون منزلكم بها. فكانت الراية لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها. معجم البلدان٣/٢٢.

١٠١- تقدمة المعرفة:٣٦٤-٣٦٥. سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٧. طبقات الشافعية:٢/ ٢١٠.

١٠٢- سير أعلام النبلاء :١١/٢٠٦.

١٠٣- سهل بن حسان. وهو سهل بن أبي خدويه البصري مات سنة ٢٠٧هـ. الجرح والتعديل: ٤/١٩٧ ت ٨٤٦. الثقات:٨/٢٩١.

١٠٤- النرسي نهر حفره نرسي بن بهرام بنواحي الكوفة يجري ماؤه من نهر الفرات عليه عدة قرى نسب إليه قوم. معجم البلدان: ٥/ ٢٨٠.

١٠٥- المحدث الفاصل: ٢١٥.

١٠٦- المصدر نفسه:٢٢٧-٢٢٨.

١٠٧- المصدر نفسه: ٢٢٥ -٢٢٦.

١٠٨- الاستيعاب:١/ ٢١٩ ت٣٨٦. أسد الغابة: ١/٣٠٧ ت٦٤٧. الإصابة: ١/٢١٣ ت١٠٢٦. الخلاصة :٥٩.

١٠٩- مسند الإمام أحمد:٣/٤٩٥. وانظر الرحلة في طلب الحديث:١١٠-١١١.

١١٠- الطبقات الكبرى: ٧/٤٥٣. تذكرة الحفاظ:١/١٠٨. تهذيب التهذيب: ١/ ٢٩٠.

١١١- تذكرة الحفاظ: ١/١٠٨. وقارن بالطبقات الكبرى: ٧/٤٥٣.

١١٢- تذكرة الحفاظ: ١/١٠٨. تهذيب التهذيب:١٠/٢٩١.

١١٣- النفل هو الزيادة في العطاء للجندي، يمنح تشجيعًا له على القتال أو مكافأة على عمل إجاده، ومنه النافلة وهي زيادة من الطاعة بعد الفرض، انظر عون المعبود: ٤١٠/٧.

١١٤- سنن أبي داود:٨٠/٣.

١١٥- تقدمة المعرفة: ٢٦٤. تاريخ بغداد : ١٥٧/١٠. سير أعلام النبلاء: ٣٧٩/٨. تهذيب التهذيب: ٢٨٢/٥.

١١٦- سير أعلام النبلاء:٣٧٩/٨.

١١٧- تقدمة المعرفة: ٢٦٤.

١١٨- سير أعلام النبلاء:٣٧٩/٨.

١١٩- المصدر نفسه: ٣٨٠/٨.

١٢٠- تقدمة المعرفة: ٢٦٤.

١٢١- سير أعلام النبلاء:٣٧٩/٨.

١٢٢- المصدر نفسه.

١٢٣ الرحلة في طلب الحديث:١٥٦ -١٥٧.

١٢٤- المصدر نفسه:٩١. والفزاري هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة. تهذيب الكمال: ١٦٧/٢.

١٢٥- تاريخ بغداد:٤/٢، وما بعدها. تذكرة الحفاظ: ٥٥٥/٢.

١٢٦- تاريخ بغداد: ٦/٢.

١٢٧- المصدر نفسه: ٤/٢. تهذيب الكمال: ٤٣١/٢٤.

١٢٨- تذكرة الحفاظ: ٥٥٥/٢.

١٢٩- المصدر نفسه. والمقرئ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد ابن عبد الرحمن الأهوازي الأصل، البصري ثم المكي. وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد. والأنصاري هو محمد بن عبد الله. وأبو المغيرة هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني. والفريابي هو محمد بن يوسف. وآدم هو ابن أبي أياس. وأبو اليمان هو الحكم بن نافع. وأبو مسهر هو عبد الأعلى ابن مسهر الغساني. انظر: تهذيب الكمال: ٤٣١/٢٤ -٤٣٣.

١٣٠- تاريخ بغداد: ٨/٢.

١٣١- تذكرة الحفاظ: ٥٥٥/٢.

١٣٢- تاريخ بغداد: ١٣/٢.

١٣٣- المصدر نفسه: ٧/٢.

١٣٤- المصدر نفسه: ١٥/٢ -١٦.

١٣٥- المصدر نفسه/١٥/٢.

١٣٦ المصدر نفسه: ١٩/٢.

١٣٧- المصدر نفسه/ ٢٠/٢-٢١.

١٣٨ سير أعلام النبلاء :٢٨/١٧. تذكرة الحفاظ: ١٠٣٢/٣. المنتظم: ٢٣٢/٧ -٢٣٣. معجم المؤلفين: ٤٢/٩.

١٣٩- سير أعلام النبلاء: ٢٩/١٧. تذكرة الحفاظ:١٠٣٢/٣.

١٤٠- سير أعلام النبلاء: ٢٩/١٧.

١٤١- المصدر نفسه.

١٤٢- المصدر نفسه : ٣٤/١٧.

١٤٣- المصدر نفسه : ١٧/ ٣٠.

١٤٤- المصدر نفسه : ١٧/ ٣٥.

١٤٥- المصدر نفسه : ١٧/ ٣٢. تذكرة الحفاظ: ١٠٣٢/٣.

١٤٦- سير أعلام النبلاء: ٣٠/١٧.

١٤٧- المصدر نفسه: ٣٧/١٧. تذكرة الحفاظ: ١٠٣٢/٣.

١٤٨- المصدر نفسه:٣٣/١٧، ١٠٣٢/٣.

١٤٩- سير أعلام النبلاء: ٣٥/١٧.

١٥٠- تذكرة الحفاظ: ١٠٣٢/٣.

١٥١- النجوم الزاهرة: ٢١٣/٤.

١٥٢ - وهي تقع على طريق نيسابور. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٧/١٧.

١٥٣- سير أعلام النبلاء: ٢٧/١٧.

١٥٤- سير أعلام النبلاء: ٣٥/١٧.

١٥٥- سير أعلام النبلاء: ٣٦/١٧.

١٥٦- غاية النهاية في طبقات القراء:٩٨/٢.

١٥٧- سير أعلام النبلاء: ٢٧/١٧. تذكرة الحفاظ: ١٠٣٥/٣.

١٥٨- تذكرة الحفاظ: ١٠٣٥/٣.

١٥٩- معجم المؤلفين:٣/٢.

١٦٠- تذكرة الحفاظ: ١٠٣٥/٣. وقارن بالمنتظم :٢٦٥/٨.

١٦١- المصادر السابقة: ١٠٣٦/٣ و١٠٤٢. ٢٦٥/٨.

١٦٢- طبقات الشافعية الكبرى:٣٠/٤. تذكرة الحفاظ: ١٠٣٧/٣.

١٦٣- المنتظم: ٢٦٧/٨.

١٦٤- مرآة الجنان:٨٨/٣.

١٦٥- تذكرة الحفاظ. ١٣٦٧/٤.

١٦٦ - معجم الأدباء١٣٠/٧٥.

١٦٧- مرآة الجنان:٣٩٣/٣.

١٦٨- المصدر نفسه.

١٦٩- معجم المؤلفين: ٦٩/٣.

١٧٠- معجم الأدباء:٧٥/١٣-٧٦.

١٧١- سير أعلام النبلاء: ٥٥٦/٢٠.

١٧٢- معجم الأدباء:١٣/ ٨٤.

١٧٣- المصدر نفسه. ١٣/ ٨٥.

١٧٤- مرآة الجنان:٣/٣٩٣. النجوم الزاهرة: ٦/٧٧.

١٧٥ معجم المؤلفين. ٥/ ٢٦٤.

١٧٦- سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٢١.

١٧٧- المصدر نفسه: ١٩/ ٣٢٣. معجم المؤلفين: ٥/ ٢٦٤.

١٧٨- الدرر الكامنة:٣/ ٤٢٦.

١٧٩- مقدمة سير أعلام النبلاء:١/ ١٧.

١٨٠- طبقات الشافعية: ٥/ ٢١٦.

١٨١- مقدمة سير أعلام النبلاء:١/ ١٨.

١٨٢- المصدر نفسه.

١٨٣- البداية والنهاية: ١٤/ ٢٢٥. طبقات الشافعية: ٥/ ٢١٧.

١٨٤- البدر الطالع:١/ ٨٧. معجم المؤلفين:٢/ ٢٠. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده: ١/ ٦٣.

١٨٥- البدر الطالع: ١/ ٨٨.

١٨٦- المصدر نفسه. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده ١/ ٨١.

١٨٧- المصدر نفسه: ١/ ١١٦.

١٨٨- المصدر نفسه: ١/ ١٢٥.

١٨٩- المصدر نفسه: ١/ ١٢٤. ١٢٧.

١٩٠- المصدر نفسه : ١/ ١٢٥.

١٩١- المصدر نفسه: ١/ ١٢٨.

١٩٢- المصدر نفسه: ١/ ١٣٣.

١٩٣- ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده:١/ ٨٦.

١٩٤- البدر الطالع: ١/ ٨٨.

١٩٥ معجم المؤلفين: ٢/ ٢١.

١٩٦- البدر الطالع: ١/ ٨٩.

١٩٧- معجم المؤلفين. ٢/ ٢١.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة. للدكتور شاكر محمود عبد المنعم. دار الرسالة للطباعة. بغداد. ١٩٧٨م.

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لأبي عمر يوسف بن عبد البر. تح. علي محمد البجاوي. مطبعة النهضة. مصر.

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة. لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ) مطبعة الشعب.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). دار إحياء التراث العربي. ط١. بيروت. ١٣٢٨هـ.

٦- بحوث في تاريخ السنة المشرفة. لأكرم ضياء العمري. ط٢. مطبعة الإرشاد. بغداد. ١٩٧٢م.

٧- البداية والنهاية. للحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ). ط٣. مكتبة المعارف. ١٩٧٧م.

٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ). ط١. مطبعة السعادة. مصر. ١٣٤٨هـ.

٩- تاريخ بغداد أو مدينة السلام. لأبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ).

١٠- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). تح. عبد الوهاب عبد اللطيف. ط٢. المكتبة العلمية. المدينة المنورة. ١٩٧٢م.

١١- تذكرة الحفاظ. لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. ١٩٥٦م.

١٢- تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل. لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ). مجلس دائرة المعارف العثمانية. ط١. حيدر آباد الدكن. الهند. ١٩٥٢م.

١٣- تهذيب التهذيب. لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) مجلس المعارف النظامية. حيدر آباد الدكن. الهند. ١٣٢٦هـ.

١٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ). تح. الدكتور بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٩٨٧م.

١٥- الثقات. لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٢هـ). تح. شرف الدين أحمد. ط١. دار الفكر. ١٩٧٥م.

١٦ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ). دار الفكر. بيروت.

١٧- الجامع الصغير في أحاديث البشير، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

١٨- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت.

١٩- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، محمد محمد أبو زهو، ط١، ١٩٥٨م.

٢٠- خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجا، لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري، ط١، المطبعة الكبرى الميرية بولاق، مصر، ١٣٠١هـ.

٢١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تح، محمد سيد جاد الحق، دار الكتب المصرية، مصر.

٢٢- ديوان الإمام الشافعي، جمعه وعلّق عليه محمد عفيف الزغبي، ط٣، مؤسسة الزغبي، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.

٢٣- الرحلة في طلب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تح، نور الدين عتر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

٢٤- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني (ت١٣٤٥هـ)، مطابع كارخانة، كراچي، ١٩٦٠م.

٢٥- السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٦- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٧- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) تح، شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

٢٨- شعر الشافعي، للدكتور مجاهد مصطفى بهجت، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.

٢٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تح، أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

٣٠- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣١- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧٢هـ)، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

٣٢- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٣- علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تح، نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.

٣٤- علوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١م.

٣٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن القيم، ط٣، المكتبة السلفية، ١٩٧٩م.

٣٦- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ج، برجستر آسر، ط١ بنفقة الناشر ومكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٣م.

٣٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، مطبعة وكالة المعارف، ١٩٤١م.

٣٨- الكفاية في علم الرواية، للحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٣٩- لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت.

٤٠- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٣٦٠هـ)، تح، محمد عجاج الخطيب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.

٤١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان، لأبي عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ)، ط٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٠م.

٤٢- المسند، لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت٢١٩هـ)، تح، حبيب الرحمن الأعظمي، سلسلة منشورات المجلس العلمي.

٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة استانبول ١٩٨٢م، دار العودة (نسخة مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن).

٤٤- مشيخة النعّال البغدادي، صائن الدين محمد بن الأنجب (ت٦٥٩هـ)، تح، ناجي معروف وبشار عواد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٥م.

٤٥- معجم الأدباء. لياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ). دار المأمون. مصر.

٤٦ معجم البلدان. لياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي. (ت ٦٢٦هـ). دار صادر. بيروت. ١٩٥٥م.

٤٧- معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. مطبعة الترقي. دمشق. ١٩٥٩م.

٤٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. للدكتور جواد علي. ط١. دار العلم للملايين. مكتبة النهضة. بيروت. ١٩٧١م.

٤٩- مقدمة ابن خلدون. المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. لعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ). دار العودة. بيروت.

٥٠- مناقب الإمام أحمد بن حنبل. لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ). ط٢. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ١٩٧٧م.

٥١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ). دار المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن. ١٣٥٧هـ.

٥٢- منهج النقد في علوم الحديث. للدكتور نور الدين عتر. ط٣. دار الفكر. دمشق. ١٩٩٢م.

٥٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي. ط١. دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٩٣٢م.

٥٤- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر. لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). المكتبة العلمية. المدينة المنورة.